المائة الرابعة

٧٦- عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد الناصر لدين الله، أبو المطرف[١].

هو عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن عَبْد الله بن مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم بن هِشَام بن عَبْد الرَّحْمَن الداخل بن مُعَاوِيَة بن هِشَام بن عَبْد الملك بن مَرْوَان، أعظم بني أمية بالمغرب سلطاناً، وأفخمهم في القديم والحديث شانا، وأطولهم في الخلافة - بل أطول ملوك الإسلام قبله - مدة وزماناً.

ولي بقرطبة يوم الخميس مستهل شهر ربيع الأول سنة ثلاثمائة، عند وفاة جده الأمير عَبْد الله بن مُحَمَّد، وتوفي في ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة خمسين وثلاثمائة، فكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام، لم يبلغها خليفة قبله. وقارب أن يلحق فيها شأوه القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر، المجتمع عليه بالمشرق في آخر هذه المائة الرابعة، فإنه بلغ في الخلافة ثلاثاً وأربعين سنة - وقيل أقل - ثم ابنه القائم بالله أبو

---

(١) الوافي بالوفيات ٦/ ٩٣، وقال الصفدي: عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن عَبْد الله بن مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم ابن هِشَام بن عَبْد الرَّحْمَن بن معاوية الأموي المرواني، الناصر لدين الله أبو المطرف صاحب الأندلس، الملقب أمير المؤمنين.

بقي في الإمرة خمسين سنة وقام بعده ولده الحكم، وكان أبوه قد قتله أخوه المطرف في صدر دولة أبيها، وخلف ابنه عَبْد الرَّحْمَن هذا ابن عشرين يوماً، وتوفي جده عَبْد الله الأمير في سنة ثلاث مائة، فولي عَبْد الرَّحْمَن الناصر، وقيل: لبث في ولايته خمساً وأربعين سنة، وجد في الغزو والفتوح وكثرت له الفتوحات واستوت له طاعة الأجناد، ولم يكن بعد عَبْد الرَّحْمَن الداخل أجزل منه في الحروب وصحة الرأي والإقدام على المخاطرة والهول حتى نال البغية وبنى المدينة الزهراء فراراً بنفسه وخاصة جنده عن عامة قرطبة، الكثيرة الهرج الجمة سواد الخلق، فرتب الجيوش ترتيباً لم يعهد مثله قبله، واكرم أهل العلم واجتهد في تخير القضاة وكان مبخلاً لا يعطي ولا ينفق إلا فيما رآه سداداً، وتوفي في شهر رجب سنة خمس وأربعين وثلاث مائة.

وتولى ابنه الحكم المستنصر، وقد مر ذكره، ولم يتسم بأمير المؤمنين حتى تحقق اختلال دولة بني العباس بالعراق وقتل المقتدر العباسي، وغلبة العجم عليهم بعد قتل المتوكل. قال ابن عَبْد ربه: نظمت أرجوزة ذكرت فيها غزواته. وافتتح سبعين حصناً من أعظم الحصون ومدحه الشعراء، وكثر العلماء في أيامه.

جَعْفَر عَبْد الله بن أحمد القادر، بلغ في ولايته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وأياماً. ومن هؤلاء العباسيين المتأخرين أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضئ بالله أبي مُحَمَّد الحسن، بلغ في ولايته سبعاً وأربعين سنة، وبويع له في ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

وقرأت في كتاب أبي الحسين بن أبي السرور الروحي الإسكندري في أخبار ملوك العبيدية أن المستنصر بالله أبا تميم معد بن علي بن الظهر بن الحاكم بلغ في ولايته بمصر ستين سنة وأشهراً، فأربى على هؤلاء الخلفاء.

وتسمى الناصر عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بأمير المؤمنين بعد سنين من خلافته، لما ضعف سلطان العباسية بالمشرق، وغلبت عليهم الأتراك، وادعت الشيعة ما شاءت بإفريقية، وساعدتهم عليه قبائل البربر وأصبح الناس في الآفاق فوضى؛ وكان من قبله من آبائه يدعون بالأمراء.

وظهر لأول ولايته من يمن طائره، وسعادة جده، واتساع ملكه، وقوة سلطانه، وإقبال دولته، وخمود نار الفتنة - على اضطرامها بكل جهة - وانقياد لطاعته، ما تعجز عن تصوره الأوهام، وتكل في تحبيره الأقلام وقبض له من ابنه وولي عهده الحكم المستنصر بالله، المدعو بأمير المؤمنين بعده، من زان ملكه، وزاد في أبهته، وقام بأمره أحسن قيام؛ فكمل جلاله، وجل كماله.

وكان الناصر - على غلاء جانبه واستيلاء هيبته - يرتاح للشعر وينبسط إلى أهله، ويراجع من خاطبه به من خاصته.

قال أبو عمر أحمد بن مُحَمَّد بن فرج صاحب كتاب "الحدائق": حدثني أبو بكر إسماعيل بن بدر، أنه خاطب أمير المؤمنين الناصر لدين الله عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد، رحمه الله، في غزاة كان آلى ألا يأنس فيها بمنادمة أحد حتى يفتتح معقلاً، فافتتح معقلاً بعد آخر، وتمادى على عزمه في العزوف عن المنادمة، فذكر أنه كتب إليه:

لقد حلت حميا الراح عندي ... وطابت بعد فتحك معقلين

وآذن كـــل هـــم بـــانفراج وأن يقـــضي غـــريم كـــل ديـــن

قال: فلم يحركه ما خاطبته به، فعاودته بالمخاطبة فقلت:

يـــا ملكـــاً رأيـــه ضـــياء في كـــل خطـــب ألم داج

مـــن لي بيـــوم بـــه فـــراغ لـــيس أخـــو حربـــه بنـــاج

بكـــل بيـــضاء مـــن رآهـــا يحـــسبها شـــعلة الـــسراج

لا تـــنس مـــولاك في وغـــاه واذكـــره في حومـــة الهيـــاج

فذكر أنه جاوبه بقوله:

كيـــف وأنـــى لمـــن ينـــاجى مـــن لوعـــة الهـــم مـــا أنـــاجى

يطمـــع أن يـــستريح وقتـــاً أو يقتـــل الـــراح بـــالمزاج؟

لـــو حمـــل الـــصخر بعـــض شـــجوى عـــاد إلى رقـــة الزجـــاج

كنـــت لمـــا قـــد علمـــت الهـــو ل إذ أنـــا ممـــا شـــكوت نـــاج

فـــصرت للبـــين في عـــلاج طـــم وأربـــى عـــلى العـــلاج

الـــورد ممـــا يهـــيج حزنـــي ويبعـــث الـــسوسن اهتيـــاجي

أرى ليـــالي بعـــد حـــسن أقـــبح مـــن أوجـــه ســـماج

لا تـــرج ممـــا أردت شـــيئاً أو يـــؤذن الهـــم بـــانفراج

٧٧- ابنه الحكم بن عَبْد الرَّحْمَن المستنصر بالله، أبو العاصي.

ولي بعده الخلافة وهو ابن سبع وأربعين سنة - قيل ابن ثمان وأربعين سنة - وشهرين ويومين، وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من رمضان سنة خمسين وثلاثمائة، وتوفي لليلتين خلتا من صفر سنة ست وستين، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام؛ استغرقت خلافة أبيه الطويلة عمره، حتى كان يقول له فيما يحكى عنه: لقد طولنا عليك يا أبا العاصي، وكان حسن السيرة فاضلاً عادلاً مشغوفاً بالعلوم، حريصاً على اقتناء دواوينها، يبعث فيها إلى الأقطار والبلدان، ويبذل في أعلاقها ودفاترها أنفس الأثمان. ونفق ذلك لديه،

فحملت من كل جهة إليه، وإلى كل سوق، ما نفق فيها جلب إليها، حتى غصت بها بيوته، وضاقت عنها خزائنه.

قال ابن حيان عند ذكر الحكم: كان من أهل الدين والعلم، راغباً في جمع العلوم الشرعية من الفقه والحديث وفنون العلم، باحثاً عن الأنساب، حريصاً على تأليف قبائل العرب وإلحاق من درس نسبه أو جهله بقبيلته التي هو منها، مستجلباً للعلماء ورواة الحديث من جميع الآفاق، يشاهد مجالس العلماء ويسمع منهم ويروى عنهم.

وكان أخوه عَبْد الله - المعروف بالولد - على مثل هذه الحال من المحبة في العلم والعلماء والرواية، وتوفي في حياة أبيه مقتولاً فتصيرت كتبه إلى أخيه الحكم.

ولم يسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتهمم بها. أفاء على العلم، ونوه بأهله ورغب الناس في طلبه، ووصلت عطاياه وصلاته إلى فقهاء الأمصار النائية عنه، ومنهم أبو إسحاق مُحَمَّد بن القاسم بن شعبان بمصر، وأبو عمر مُحَمَّد بن يوسف بن يعقوب الكندى وغيرهما؛ جرى ذكر هذا في كتب تواريخهم.

وبعث إلى أبى الفرج الأصبهاني القرشي المرواني ألف دينار عنياً ذهباً، وخاطبه يلتمس منه نسخة من كتابه الذي ألفه في الأغاني، وما لأحد مثله، ووصل بذلك المال رحمه، إذ كان قسيمه في المروانية، ومن ولد مَرْوَان بن مُحَمَّد آخر الخلفاء الأمويين بالمشرق، فأرسل إليه منه نسخة حسنة منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق، أو ينسخه أحد منهم.

وألف له أيضاً أنساب قومه بني أمية موشحة بمناقبهم وأسماء رجالهم، فأحسن فهي جداً، وخلد لهم مجداً. وأرسل به إلى قرطبة وأنفذ معه قصيدة حسنة من شعره - وكان محسناً - يمدحه بها ويذكر مجد قومه بني أمية وفخرهم على سائر قريش، فجدد له عليه الصلة الجزيلة.

وكان له وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف، ورجال يوجههم إلى الآفاق عنها. ومن وراقيه ببغداد مُحَمَّد بن طرخان، ومن أهل المشرق والأندلس جماعة. وكان مع هذا كثير التهمم بكتبه والتصحيح لها والمطالعة لفوائدها، وقلما تجد له كتاباً كان في خزانته إلا وله فيه قراءة ونظر من أي فن كان من فنون العلم: يقرؤه ويكتب فيه بخطه - إما في أوله أو آخره

أو في تضاعيفه - نسب المؤلف ومولده ووفاته والتعريف به، ويذكر أنساب الرواة له، ويأتي من ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده، لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن. وكان موثوقاً به مأموناً عليه. صار كل ما كتبه حجة عند شيوخ االأندلسيين وأئمهم، ينقلونه من خطه ويحاضرون به.

قلت: وقد اجتمع لي من ذلك جزء مقيد مما وجد بخطه، ووجدت أنه يشتمل على فوائد جمة في أنواع شتى.

قال: وكان قد قيد كثيراً من أنساب أهل بلده، وكلف أهل كور الأَنْدَلُس أن يلحقوا كل عربي أخل ذكره قبل ولايته، وأن يصحح نسبهم أهل المعرفة بذلك، ويؤلف من الكتب، ويرد كل ذي نسب إلى نسبه، وفرج ذلك بالعلم فتم له من ذلك ما أراد، ونفع الله بكرم قصده البلاد والعباد.

وقال أبو مُحَمَّد بن حزم في كتاب جمهرة الأنساب من تأليفه، وذكر الحكم: اتصلت ولايته خمسة عشر عاماً في هدوء وعلو. وكان رفيقاً بالرعية، محباً في العلم، ملأ الأَنْدَلُس بجميع كتب العلوم. وأخبرني تليد الفتى - وكان على خزانة العلوم بقصر بني مَرْوَان بالأندلس - أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، في كل فهرسة خمسون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط.

قال: ولم يعقب إلا هشاماً الوالي بعده، وقد انقرض ولا عقب ولا لأبيه.

وذكر الحميدي في تاريخه أن الحكم رام قطع الخمر من الأَنْدَلُس، فأمر بإراقتها وتشدد في ذلك، وشاور في استئصال شجرة العنب من جميع أعماله، فقيل إنهم يعملونها من التين وغيره، فتوقف عن ذلك.

ومن شعره:

عجبت، وقد ودعتها، كيف لم أمت ... وكيف انثنت عند الفراق يدي معي

فيا مقلتي العبري عليها اسكبي دماً ... ويا كبدي الحرى عليها تقطعي

قال ابن حيان: وعلى إطباق أهل وقته في نزارة جنى أدبه، فقد أنشدني الفقيه أبو علي الحسن بن أيوب الحداد له بيتي شعر ارتجلهما يوم ودعته حظيته أم هشام، لما خرج لغزوته الفذة العروفة بشنت اشتيبن، فأكثرت من التعلق به والوله لفراقه، وكان شديد الكلف بها، وذكر البيتين. قلت: وقد قرأت في ما يروى لخيار الديلمي:

ومن عجب أني أحن إليهم ... وأسأل شوقاً عنهم، وهم معي

وتبكى دماً عيني، وهم في سوادها ... ويشكو الهوى قلبي، وهم بين أضلعي

فيا مقلتي العبرى أفيضي عليهم ... ويا كبدي الحرى عليهم تقطعي

فلا أدري: أوافق الحكم في بيته الأخير أم سرقه وغيره كما ترى؟ وقال أبو الطاهر مُحَمَّد بن يوسف التميمي المعروف بالاشتركوني، صاحب المقامات اللزومية، في ما جمع من شعر أبي بكر بن عمار وزير بني عباد: ومما ينسب إليه، وذكر البيتين: ومن عجبي أني أحن إليهم والذي بعده، لم يرد عليهما.

وقرأت في كتاب "الحدائق" لابن فرج قوله - بعد إيراده جملة من أشعار الخلفاء الأموية-: وهم يجلون عن الشعر أقدارهم، كما يرتفعون عن أن يروى عنهم أو يؤخذ من أقوالهم، وإنما ينبسطون به في سرائرهم فليس يظهر عليهم منه إلا الشاذ القليل؛ ولعل ما سقط عنا أفضل مما سقط إلينا. فأما أمير المؤمنين المستنصر بالله - أطال الله بقاءه - فهو فوق أن يعلن به أو ينشر اسمه عليه، ولعل له منه ما لا نعرفه، فأما الأدوات التي يقال بها، بل التي يحتاج كل علم إليها، فهي معه بأزيد مما كانت لأحد قبله أو تكون لأحد بعده.

وهذا الذي قال غير مسلم له ولا مقبول منه، بل إكثار الملوك من الشعر دال على قوة عارضتهم وسعة ذرعهم، وحاكم بمعانة مادتهم وتمكن تصرفهم، ولولا ذلك لما فضل ابن المعتز أهل بيته بالإبداع في أنواع القريض، وكذلك تميم بن المعز المتقبل أثره في الإكثار، والإتيان بما قيد وخلد من بدائع الأشعار. ولا أبلغ من الاحتجاج، وأقطع للخصم المتناهى اللجاج، مما هو عليه مولانا من تحبير الغرائب، وتسيير الكلم الغر أثناء المشارق والمغارب،

وهو البرهان على رحب المجال، وتحصيل أسباب الفضل وأشتات الكمال، لا زال سلطانه يبخع له بالطاعة ويدان، وزمانه يشرق بمحاسنه الباهرة ويزدان.

٧٨- عَبْد الله بن عَبْد الرَّحْمَن الناصر، أبو مُحَمَّد[1].

قتله أبوه عَبْد الرَّحْمَن لمنافسته أخاه الحكم ولى عهده؛ وكان من نجباء أولاد الخلفاء، محبا في العلم والعلماء، سمع من جملة منهم، وحدث في اللف عنهم. وله تواليف تدل على علمه وفهمه، وتشهد برف ذاته وكمال أدواته، منها كتاب العليل والقتيل في أخبار ولد العباس انتهى به إلى خلافة الراضي ابن المقتدر؛ ومنها المسكتة في فضائل بقى بن مخلد. قال أبو مُحَمَّد بن حزم: كان فقيهاً شافعياً شاعراً أخبارياً متنسكاً؛ ومن شعره:

أما فؤادي فكاتم ألمه ... لو لم يبح ناظري بما كتمه

ما أوضح السقم في ملاحظ من ... يهوى، وإن كان كاتماً سقمه

ظللت أبكى، وظل يعذلني ... من لم يقاس الهوى ولا علمه

إليك عن عاشق بكى أسفاً ... حبيبه في الهوى وإن ظلمه

ظلت جيوش الأسى تقاتله ... مذ نذرت أعين الملاح دمه

وحكى أبو عمر بن عفيف في تاريخه الذي هذبه ابن حيان وانتخبه، قال: وكان الأمير الحكم بن الناصر لدين الله ولى عهد المسلمين، وأخوه عَبْد الله هذا، يتباريات في طلب العلم، ويتناغيان في جمعه، ويتبادران إلى اصطناع أهله واختصاص رجاله وإدناء منازلهم والإحسان إليهم. فكان ابن عَبْد البر - يعني أحمد بن مُحَمَّد، صاحب التاريخ - ممن تميز في حزب عَبْد الله واختص به حتى لا يكاد يفارقه، فسعى إلى الخليفة الناصر لدين الله بابنه عَبْد الله هذا، ورفع

---

(١) الأعلام ٤/ ٩٦، وقال الزركلي: عَبْد الله بن عَبْد الرَّحْمَن الناصر، الاموي: أمير. كان من نجباء أبناء الخلفاء في الاندلس، محبا للعلم والعلماء.

له تصانيف، منها كتاب " العليل والقتيل " في أخبار بني العباس، بلغ به خلافة الراضي بن المقتدر. و"المسكتة " في فضائل بقي بن مخلد. وله شعر. اتهمه أبوه بالعمل على خلعه فقتله.

عليه أنه يريد خلعة ويدعو إلى القيام معه، وأن جماعات من طبقات الناس دخلوا في ذلك معه، وأنهم عل أن يثوروا به في يوم عَبْد قد اقترب إليه.

فأرسل الناصر في الليل بمن قبض على ولده عَبْد الله وحبسه، فألقى عنده في تلك الليلة هذا الفقيه أحمد بن مُحَمَّد بن عَبْد البر وفقيهاً آخر من أصحابه يعرف بصاحب الوردة - وهو أحمد بن عَبْد الله بن العطار - كانا باثنين عنده، فأخذا وحملا إلى الزهراء حضرة أمير المؤمنين الناصر بأسفل قرطبة، فأمر بسجنهما وعرف الوزراء بخبر ولده عَبْد الله، وكشف لهم عظيم ما أراد أن يحدثه عليه وعلى المسلمين فيه وتبرأ منه.

وأعلمهم بمسارعته إلى القبض عليه، ووجدان رسله هذين الفقيهين النطفين باثنين عنده وقال لهم: ما أعجب إلا من مكان ابن العطار عنده! ما الذي أدخله في هذا مع غباوته وقلة شره؟ وأما ابن عَبْد البر فأنا أعلم أنه الذي زين لهذا العاق ذلك ليكون قاضي الجماعة ويأبى الله ذلك، فهنأوه بالسلامة ودعوا الله له.

وعزم الناصر على أن يعاقب ابن عَبْد البر يوم العيد - عيد الأضحى - الذي كان التدبير عليه فيه، فأصبح ابن عَبْد البر يوم العيد نفسه ميتاً في السجن، وأسلم إلى أهله فدفن بمقبرة الربض؛ وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة.

٧٩- عَبْد العزيز بن عَبْد الرَّحْمَن الناصر، أبو الأصبغ[1].

كان أديباً شاعراً، ظهرت منه نجابة في صغره.

وحكى أن أول لوح كتبه عند دخوله الكتاب بعث به إلى أخيه الحكم المستنصر، وكتب إليه من شعره:

هاك يا مولاي خطا ... مطه في اللوح مطا

ابن سبع في سنيه ... لم يطق للوح ضبطا

دمت يا مولاي حتى ... يولد ابن ابنك سبطا

---

(١) الصلة ١/ ١١٧.

٨٠- مُحَمَّد بن عَبْد الملك بن عَبْد الرَّحْمَن الناصر[1].

هو والد الخليفتين في الفتنة: أبي المطرف عَبْد الرَّحْمَن الملقب بالمرتضى، وأبي بكر هِشَام الملقب بالمعتد، آخر خلفاء بني أمية بالأندلس؛ على رحيله انقرضوا فلم يعد ملكهم إلى اليوم.

ولي في شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة وأربعمائة، وكان أسن من أخيه المرتضى بأربعة أعوام، مولده في سنة أربع وستين وثلاثمائة.

وأقام في خلافته متردداً بالثغور ثلاثة أعوام إلا شهرين، ودخل قرطبة يوم منى ثامن ذي الحجة سنة عشرين، لم يبق إلا يسيراً حتى قامت عليه فرقة من الجند فخلع.

وانقطعت الدعوة الأموية من يومئذ، واستولى على قرطبة أبو الحزم جهور بن مُحَمَّد بن جهور الوزير، ثم ابنه أبو الوليد مُحَمَّد بن جهور. ومن شعر مُحَمَّد بن عَبْد الملك قوله يفتخر:

ألسنا بني مَرْوَان كيف تبدلت ... بنا الحال أو دارت علينا الدوائر؟

إذا ولد المولود منا تهلل ... له الأرض واهتزت إليه المنائر

وقد أنشد أبو منصور الثعالبي في اليتيمة من تأليفه هذا الشعر ونسبه إلى الحكم المستنصر بالله، وزعم أن ذلك من قصيدة كتب بها إلى صاحب مصر يفتخر.

وهذا من أغلاط أبي منصور وأوهامه الفاحشة: حكى - لبعد مكانه - ما لم يحقق، وروى عمن لا علم له بشأنه ما لم يضبط. ومثل هذا النظم الفائق لم يكن ليغيب عن ابن فرج صاحب كتاب الحدائق، ولم يكن ليغيب أيضاً، عن أبي مَرْوَان بن حيان - جهينة أخبار المروانية ومؤرخ آثارها السلطانية - فكيف يصح ذلك والأول منهما كما تقدم ينفي عنه الشعر، والآخر يثبت له منه البزر؟ على أن مُحَمَّداً هذا المنسوب إليه ليس في أدباء أهل بيته بمشهور؛ وعلى كل حال فلا معنى للفظ أبي منصور.

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ٢٠٠.

٨١- عَبْد العزيز بن المنذر بن عَبْد الرَّحْمَن الناصر، ابن القرشية[1].

كان من ذوي القعدد في بنى مَرْوَان؛ وأبوه أبو الحكم المنذر هو الذي اشتهرت معرفته بابن القرشية، لأن أمه فاطمة بنت الأمير أبى الحكم المنذر بن مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن، حظيت بنكاح الناصر عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد وولدت له ابنه المنذر فسمته باسم أبيها، فولد عَبْد العزيز هذا، وكان له حظ وافر من الأدب وحسن الشعر. ذكره أبو الوليد إسماعيل بن مُحَمَّد المعروف بحبيب العامري في كتابه البديع في فصل الربيع، وأنشد له في البهار، قال وهو من التشبيهات العقم:

كأن الثرى ستر تمد خلاله ... بأكؤس راح راحهن الكواعب

يسترن من فرط الحياء معاصماً ... بأكمامهن الخضر عمن يراقب

وأنشد لأبي عمر يوسف بن هارون الرمادى من قصيدة أمأى فيها، يمدح ابن القرشية هذا ويصف أزهار الربيع:

تأمل بإثر الغيم من زهرة الثرى ... حياة عيون متن قبل التنعم

كأن الربيع الطلق أقبل مهدياً ... بطلعة معشوق إلى عين مغرم

تعجبت من غوص الحيا في حشا الثرى ... فأفشى الذي فيه ولم يتكلم

كأن الذي يسقى الثرى صرف قهوة ... تنم عليه بالضمير المكتم

أرى حسناً في صفحة قد تغيرت ... كبشر بدا في الوجه بعد التجهم

ألا يأساء الأرض أعطيت بهجة ... تطالعنا منها بوجه مقسم

وإن قالت الأرض المنعم روضها: ... لي الفضل في فخزى عليك فسلمى

فخضرة ما فيها تفوقك خضرة ... ونوارها فيها ثواقب أنجم

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ١٠٤، وقال الحميدي: عَبْد العزيز بن المنذر بن عَبْد الرَّحْمَن الناصر يعرف بابن القرشية، من ذوي القعدد في بني مروان، وله حظا وافر من الأدب، وحسن الشعر ذكره غير واحد منهم أبو الوليد بن عامر.

وإن جئتها بالشمس والبدر والحيا ... مفاخرة، جاءت بأسنى وأكرم
بعبد العزيز ابن الخلائف والذي ... جميع المعالي تنتمي حيث ينتمي

٨٢- مُحَمَّد ابن الأمير المنذر بن مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم بن هشام، أبو عَبْد الله[1].

كان من أكمل رجال البيت الأموي خلقاً وعقلاً وأدباً تاماً وحظاً من الشعر الجيد، وكانت أخته لأبيه فاطمة عند الناصر عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد، فحظي بمصاهرته؛ واعتبط في خلافة الناصر فتوفي للنصف من ذي القعدة سنة ست عشرة وثلاثمائة. وهو القائل:

بنفسي وأهلي من بذلت له ودي ... وملكته رقي على القرب والبعد
وأبغضت فيه كل خدن مناصح ... وأبديت للعذال في عشقه صدى
ولم أنصرف فيه إلى قول كاشح ... وأصررت في حبه إصرار ذي الحقد
سقاني بعينيه الهوى، وبكفه ... سلافاً، وحياني بها ناقض العهد

وله:

طال اشتياقي إلى من كنت آلفه ... فالعين بالدمع ما تنفك تذرفه
اعتضت من قرب من أهوى زيارته ... من كنت أكرهه جهدي وأقذفه
وصار من كنت أشناه وأبعده ... مكان من كنت أهواه وألطفه
فالنفس في قلق، والعين في أرق ... والقلب في حرق مما يخلفه
من رام صرف محب عن أحبته ... فإن قلبي مما لست أصرفه

٨٣- الحكم بن أحمد ابن الأمير مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن ابن الحكم بن هشام.

كان من نبهاء قومه المروانيين بقرطبة، وكان له طبع معين في قرض الشعر. وهو القائل في ابن مات له، أنشده ابن حيان:

---

(١) الأعلام ٧/ ١١١، وقال الزركلي: مُحَمَّد بن المنذر بن مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم بن هِشَام الاموي: أمير. من وجوه الامويين في الاندلس، خلقا وعقلا وأدبا. له شعر.

عيني تجود بمسكوب ومهراق ... فالحمد لله، ما للموت من باق
وكيف أبقى بلا نور، بلا بصر ... أم كيف ينبت لحم زال عن ساق؟
لا يبعدنك بني الله إنك قد ... لاقيت ما كل من في ظهرها لاق

٨٤- عمر بن أحمد ابن الأمير مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن.

أخو الحكم المذكور، كان من أهل الأدب والشعر. وهو القائل يرثي أباه، وتوفي والناصر غائب في غزاته سنة خمس عشرة وثلاثمائة:

لفقدك تنهل العيون وتدمع ... وتنهد أركان المعالي وتخشع
ويعول من قد كان بالأمس ضاحكاً ... لغفلته في ظل نعماك يرتع
ألا أيها القبر الذي ضم جسمه ... سقاك من الأنواء هتان ممرع
ولقى كريماً فيك روحاً ورحمة ... مليك إذا ما شاء يعطي ويمنع
وكانت له كف يفيض نوالها ... مدى الدهر عن تسكابها ليس تقلع
وكانت له جفن تجافى عن الكرى ... ونفس تناجي الله والناس هجع
وصوم وتسبيح وذكر وخشية ... وطول صلاة أجرها لا يضيع
بكيتك إشفاقاً عليك وحسرة ... لعل البكا من شدة الوجد ينفع
فلست لشيء بعد فقدك فارحاً ... ولا لمصاب بعد فقدك أجزع
عليك سلام الله من ذي مصيبة ... له مهجة نحو المنايا تطلع

٨٥- عَبْد الله بن عَبْد العزيز بن مُحَمَّد بن عَبْد العزيز ابن أمية بن الحكم الربضي، أبو بكر الملقب بالحجر ويقال له: (البطر شك) بالعجمية ومعناه: الحجر اليابس.

أمره هِشَام المؤيد في بعض الأوقات، وسد به الثغر، وفوض إليه أمر طليطلة وقلده إياها مع خطة الوزارة، فاستقل بمقاومة غالب أيام فتلته، حتى دعاه إلى القيام بالخلافة.

وكل على مقدمة المنصور بن أبي عامر في غزاته إلى جليقية، بعد منصرفه من متتل غالب بالثغر، في أول المحرم سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، ومعه خيل طليطلة وطبقات الأجناد وجميع الرجل. وفيها حصر سورة، وامتنعت عليه قصبتها، وعم بالتدمير كثيراً من نواحيها، ومنها جهة دمر فيها نحو ألف قرية، معروفة الأسماء كثية البيع الديارات. ووصل قرطبة ومعه أربعة آلاف سبية، وقد حز قريباً منها من رؤوس الكفرة.

وكان عَبْد الله هذا أحد رجلات المروانية، عقلاً وشهامة وأدباً وغزارة علم وإمتاع حديث وطيب مجالسة. ومن شعره، قال الحميدي في تاريخه: أنشدني عنه أبو عَبْد الله بن المعلم الطليطلي، قال: أنشدني لنفسه:

اجعل لنا منك حظاً أيها القمر ... فإنما حظنا من وجهك النظر

رآك ناس فقالوا: إن ذا قمر! ... فقلت: كفوا، فعندي منهما خبر.

البدر ليلة نصف الشهر بهجته ... حتى الصباح، وهذا دهره قمر

والله ما طلعت شمس ولا غربت ... إلا وجاءت إليك الشمس تعتذر

وأنشد له ابن أبي الفياض في تاريخه:

ومن لا أسميه مخافة عتبة ... على أن قلبي مستهام بحبه

وبعض اسمه حاء وبا [.....][1] ... حروف طواها [.....][2]

عليه سلام الله مني مرداً ... سلام محب جاد فيه بقلبه

وله:

يا ظالماً ظن قتلي في الهوى حسنا ... كن كيف شئت فظني فيك قد حسناً

طويت حبك حتى ظل ينشره ... دمع جرى فغدا سرى به علنا

أفديك من ساكن في القلب مسكنه ... وغائب لم تزل نفسي له وطنا

---

(١) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل.

(٢) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل.

يا قرة العين، قد عذبتها سهراً ومنية النفس، قد قطعتها شجنا
ما بال قلبك يشكو فرط قسوته قلب يقاسي عليك البث والحزنا
أما هواك فإني لست ساليه ومن يمت كمداً فيه فذاك أنا

وأنشد له ابن فرج في الحدائق:

سقياً لهم من ظاعنين حسبتهم وسط الهوادج لؤلؤاً مكنونا
لو كنت أنصفهم عشية ودعوا ما عشت بعد نوى الأحبة حينا
أغصان بان فوق كثبان النقا فإذا لحظتك خلتهن العينا
أجرى الزمان بينهن مدامعاً ما كن من قبل الهوى يجرينا

وله مع رسالة حين ظفر به المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر في شوال سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، وكان قد هرب أمامه إلى بلد الروم فسجنه بالمطبق بعد أن طيف به على جمل وهو مقيد:

فررت فلم يغن الفرار، ومن يكن مع الله لا يعجزه في الأرض هارب
ووالله ما كان الفرار لحالة سوى حذر الموت الذي أنا راهب
ولو أنني وقفت للرشد لم يكن ولكن أمر الله لا يد غالب
وقد قادني جراً إليك برمتي كما اجتر ميتاً في رحى الحرب سالب
وأجمع كل الناس أنك قاتلي وريت ظن ربه فيه كاذب
وما هو الانتقام فتشتفي وتركك منه واجباً، لك واجب
وإلا فعفو يرتضي الله فعله ويجزيك منه فوق ما أنت طالب
ولا نفس إلا دون نفسك، فليكن على قدرها قدر الذي أنت واهب
فما خاب م جدواك مذ كنت سائل ولا رد دون المبتغى عنك راغب
وقد منحت كفاك ما يعجز الورى وعمت عموم الغيث منك المواهب
وإن حم تأخير لنفسي فليكن لمتلفها من حاجب الملك حاجب

فما زال سباقاً إلى كل خصلة ... يسير بها في الأرض ماش وراكب
فلا أنفك لي مولى ألوذ بعزة ... فيصرف عني الخطب والدهر عاتب

وله أيضاً يستشفع بالمظهر عَبْد الملك إلى أبيه المنصور:

ألا أيها الحاجب المرتجى ... وأكرم من كان أو من يكون
دعوتك دعوة مستصرخ ... أحاطت به وائختته المنون
فإن لم تغثني فمن ذا الذي ... يلوذ به الخائف المستكين؟
جمعت التقى والعلى والنهى ... فمال مذال وعرض مصون
وتفريج غماء عن حائن ... يعود بك الحي وهو الدفين
فقل لي: لما! من عثار له ... أناديك والموت لي مستبين
وإن جل ذنبي فأنت الجليل ... وهل لك فيمن عليها قرين؟

ومن خبره أنه أقام مسجوناً إلى أن مات المنصور، وولى ابنه المظفر عَبْد الملك حجابة هشام، فأطلقه واستحله لأبيه، وخلع عليه وولاه الوزارة وخص به، فلم تطل حياته، وتوفي غازياً مع عَبْد الملك غزاته الأولى سنة ثلاث وتسعين بمدينة لاردة، وقبره بمسجدها.

وكان جلداً في محنته، كثير الدعاء والضراعة، قد رزق من الناس رحمة. ولما أسمله برمند ملك الجلالقة مضطراً إلى ثقات المنصور وطيف به، كان قدامه من ينادي: هذا عَبْد الله بن عَبْد العزيز، المفارق لجماعة السلمين، النازع إلى عدوهم، المظاهر له عليهم!، فكان هو يرد عليه ويقول: كذبت! بل نفس خافت ففرت تبغى الأمن من غير شرك ولا ردة. ولم يعرض المنصور لمنازله وضياعه، أطلقها لبنيه مدة اعتقاله.

٨٦- مَرْوَان بن عَبْد الرَّحْمَن بن مَرْوَان بن عَبْد الرَّحْمَن الناصر، أبو عَبْد الملك[1].

(١) جذوة المقتبس ١/ ١٢٣، وقال الحميدي: مَرْوَان بن عَبْد الرَّحْمَن بن مَرْوَان بن عَبْد الرَّحْمَن الناصر أبو عَبْد الملك يعرف بالطليق من أمية كان أديباً شاعراً مكثراً وأكثر شعره في السجن. قال لي ابو مُحَمَّد علي بن

هو الطليق، وقيل له ذلك لأنه سجن في أيام المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر مدة طويلة ثم أطلق بعد ذلك فسمي الطليق.

وكان - فيما قيل - يهوى جارية رباها أبوه معه وذكرها له، ثم إنه استأثر بها، فاشتدت غيرة مَرْوَان لذلك، وانتضى سيفاً، وانتهز فرصة في بعض خلوات أبيه معها فقتله. وعثر على القصة، فسجن وهو ابن ست عشرة سنة، ومكث في السجن ست عشرة سنة، وعاش بعد إطلاقه ست عشرة سنة، وهذا من نادر الاتفاق ومات قريباً من سنة أربعمائة.

وكان أديباً شاعراً مكثراً، وأكثر شعره في السجن. وإنما ذكرته وليس من شرطي في الإتيان بالأمراء والمتأمرين ومن قرب إليهم دون من بعد من البنين - لقول أبي مُحَمَّد بن حزم: أبو عَبْد الملك هذا في بني أمية كابن المعتز في بني العباس، ملاحة شعر وحسن تشبيه؛ فحذفه من هذا المجموع هو المعترض عليه حقيقة لا إثباته واجتلاب محاسنه، والخطأ مع الاجتهاد معفو عنه. ولعلي قد أتيت في ما أثبت بما هو قريب منه. ومن شعر الطليق في معتقله:

ألا إن دهراً هادماً كل ما نبني ... سيبلى كما يبلى، ويفنى كما يفنى

وما الفوز في الدنيا هو الفوز، إنما ... يفوز الفتى بالربح فيها مع الغبن

يجازى ببؤس عن لذيذ نعيمها ... ويجنى الردى مما غدت كفه تجنى

ولا شك أن الحزن يجرى لغاية ... ولكن نفس المرء سيئة الظن

=

أحد: أبو عَبْد الملك هذا في بني أمية كابن المعتز في بني العباس ملاحة شعر، وحسن تشبيه. سجن وهو ابن ست عشرة سنة ومكث في السجن ست عشرة سنة، وعاش بعد إطلاقه من السجن ست عشرة سنة، ومات قريباً من الأربع مائة.

وأخبرني أبو عَبْد الله مُحَمَّد بن إدريس أو غيره بالمغرب: أن أبا عَبْد الملك كان فيما قيل يتعشق جارية كان أبوه قد رباها معه، وذكرها له، ثم بدا له فاستأثر بها، وأنه اشتدت غيرته لذلك، فانتضى سيفاً، وانتهز فرصة في بعض خلوات أبيه معها فقتله، وعثر على ذلك فسجن وذلك في أيام المنصور أبي عامر مُحَمَّد بن أبي عامر ثم أطلق بعد ذلك فلقب الطليق لذلك.

وله يصف السجن:

في منـزل كالليـل أسـود فـاحم ... داجـي النـواحي مظلـم الأثبـاج
يسـود والزهـراء تـشرق حولـه ... كـالخبر أودع في دواة العـاج

وله في النسيب:

أقـول ودمعـي يـستهل ويـسفح ... وقد هاج في الصدر الغليل المبرح
دعـوني مـن الـصبر الجميـل فـإنني ... رأيت جميل الصبر في الحب يقبح
لقد هيج الأضحى لنفسي جوى أسى ... كريـه المنايـا منـه للـنفس أروح
كـأن بعينـي حلـق كـل ذبيحـة ... بـه، وبـصدري قلبهـا حين تـذبح
فيا ليت شعري، هـل لمـولاي عطفه ... يـداوي بهـا منـي فـؤاد مجـرح؟
يحـن إلى البـدر الـذي فـوق خـده ... مكـان سـواد البـدر ورد مفـتح
تقنـع بـدر الـتم عنـد طلوعـه ... مخافـة أن يـسرى إليـه فيفـضح
فقلـت لـه: يـا بـدر أسـفر فقـد غـدا ... عليـه رقيـب للعـدا لـيس يـبرح
لعمـري لـذاك البـدر أجمـل منظـراً ... وأحـسن مـن بـدر الـتمام وأملـح

وله من قصيدة فريدة أولها:

غـصن يهتـز في دعـص نقـي ... يجتنـى منـه فـؤادي حرقـا
باسـم عـن عقـد در خلتـه ... سـلبته لثتـاه العنقـا
سـال لام الـصدغ في صـفحته ... سـيلان التـبر وافى الورقـا
فتنـاهى الحـسن فيـه، إنـما ... يحـسن الغـصن إذا مـا أورقـا
رق منـه الخـصر حتـى خلتـه ... مـن نحـول شـفه قـد عـشقا
وكـأن الـردف قـد تيمـه ... فغـدا فيـه معنـى قلقـاً
نـاحلا جـاور منـه نـاعماً ... كحبيبـي ظـل لي معتنقـاً
عجبـاً إذ أشـبهانا، كيـف لم ... يحـدثا هجـراً ولم يفترقـا؟

ومنها يصف الخمر:

رب كأس قد كست جنح الدجى ... ثوب نور من سناها أشرقا
بت أسقيها رشاً في طرفه ... سنة تورث عيني أرقا
خفيت للعين حتى خلتها ... تتقي من لحظه ما يتقى
أشرقت في ناصع من كفه ... كشعاع الشمس لاقى الفلقا
وكأن الكأس في أنمله ... صفرة النرجس تعلو الورقا
أصبحت شمساً وفوه مغرباً ... ويد الساقي المحيي مشرقا
فإذا ما غربت في فمه ... تركت في الخد منه شفقا

ومنها في أوصاف شتى:

وغمام هطل شؤبوبه ... نادم الروض فغنى وسقى
فكأن الأرض منه مطبق ... وكأن النصب جان أطبقا
خلع البرق على أرجائه ... ثوب وشى منه لما برقا
وكأن العارض الجون به ... أدهم خلى عليه بلقا
وكأن الريح إذ هبت له ... طيرت في الجو منه عقعقا
في ليال ضل سارى نجمها ... حائراً لا يستبين الطرقا
أوقد البرق لها مصباحه ... فانثنى وجه دجاها مشرقا
وشدا الرعد حنيناً فجرت ... أكؤس المزن عليه عرقا
وغدت تجذبه الشمس وقد ... ألحفته من سناها نمرقا
فكأن الشمس تحيي نفسه ... غرة المعشوق تحيى البشيقا
وكأن الورد يعلوه الندى ... وجنة المحبوب تندى عرقا
يتفقا عن بهار فاقع ... خلته بالورد يطوى ومقا
كالمحين الوصولين غدا ... خجلاً هذا، وهذا فرقا

ورنت منه إلى شمس الضحى حدق للنور تصى الحدقا
وكأن القطر لما جادها صار في الأوراق منها زئبقا

ومنها في الفخر:

من فتى مثلي لبأس وندى ومقال وفعال وتقى؟
شرفي نفسي، وحلي أدبي وحسامي مقولي عند اللقا
ولساني عند من يخبره أفعوان ليس يثنيه الرقى
ويميني يمن عاف معسر جمعت حمداً غدا مفترقا
جدى الناصر للدين الذي فرقت كفاه عنه الفرقا
أشرف الأشراف نفساً وأباً حين يعلوه وأعلى مرتقى
أنا فخر العبشميين وبى جد من فخرهم ما أخلقا
أنا أكسو ما عفى من مجدهم بحلى روق شعري رونقا

وله أيضاً يصف السحاب، أنشده له أبو الحسن على بن مُحَمَّد بن أبي الحسن القرطبي في كتاب الفرائد في التشبيه من الشعار الأَنْدَلُسية من تأليفه:

فكأن الغمام صب عميد أن بالرعد حرقة واشتكاء
وكأن البروق نار جواه والحيا دمعه يسيل بكاء

وله أيضاً:

كأنما إنسان أجفانها للخمر من تحيرها مدمن
وليس إنساناً ولكنه هاروت في مقلتها يسكن

وله في طول الليل:

فما بال صبحي قد تقارب خطوه فأبطأ حتى ليس يرجى قدومه
كأن نجوم الليل قيدها الدجى وأوقفها في موضع لا تريمه

وله في الرسوم:

ربع تربصت النجوم لأهله ... ورماهم ريب الزمان فقرطسا

فكأنه مما تقادم عهده ... ربع امرئ القيس القديم بعسعسا

وله في مثل ذلك:

فبقيت في العرصات وحدي بعدهم ... حيران بين معاهد ما تعهد

فكأنهن ديار مي إذ خلت ... وكأنني غيلان فيها ينشد

وله:

وكأن المياه فيها ثعابين ... من لجين تبعثت في السواقي

وكأن الحصباء في رونق الما ... ء سنا الدر في بياض التراقي

ومن أبناء الأدارسة الحسنيين:

٨٧- إبراهيم بن إدريس الحسني[1].

كذا قال فيه ابن حيان، وقال الحميدي: إبراهيم بن إدريس العلوى الحسنى المنبوذ بالمؤبل. كان أديباً شاعرا، وكان في أيام المنصور أبي عامر مُحَمَّد ابن أبي عامر، وعاش غلى أيام الفتنة. أصله من المغرب، وسكن قرطبة إلى أن سيره ابن أبي عامر عن الأَنْدَلُس، فيمن سير من أهل بيته بعد مقتل حسن بن قنون كبيرهم. وهو القائل يخاطب المروانية بقرطبة، لما رأى غلبة ابن أبي عامر على هِشَام المؤيد واستبداده بالأمر دونه:

فيا أرى عجب لمن يتعجب ... جلت مصيبتنا وضاق المذهب

إني لأكذب مقلتي فيما أرى ... حتى أقول غلطت فيما أحسب

أيكون حياً من أمية واحد ... ويسوس هذا الملك هذا الأحدب؟

تمشى عساكرهم حوالي هودج ... أعواده فيهن قرد أشهب

ابنى أمية أين أقمار الدجى ... منكم، وما لوجوهها تتغيب؟

هذا ما أورد ابن حيان في أخبار الدولة العامرية من شعره.

وقال الحميدي في كتابه: رأيت له قصيدة طويلة يمدح بها مؤيد الدولة هذيل بن خلف بن رزين صاحب القلاع يهجو في درجها غيره، أولها:

للبيني تعذيب نفسي مذهب ... ولنائبات الدهر عندي مطلب

أما ديون الحادثات فإنها ... تأتي لوقت صادق لا تكذب

والبين مغرى كيده بأولى النهى ... طبعاً تطبع، والطبيعة أغلب

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ٧٥، وقال الحميدي: إبراهيم بن إدريس العلوي الحسنى المنبوذ بالمويل، شاعر أديب حسن الشعر، خبيث الهجاء، كان في أيام المنصور أبي عامر مُحَمَّد بن أبي عامرن وعاش إلى أيام الفتنة، ورأيت له قصيدة طويلة يمدح بها مؤيد الدولة هذيل بن خلف بن رزين، صاحب أحد القلاع، ويهجو في درجها غيره.

ومنها:

أيقنـــت أني للرزايـــا مطعـــم ودمـــي لوافـــدة المكـــاره مـــشرب

فأنـــا مـــن الآفـــات عـــرض ســـالم وجـــوانح تكـــوى وعقـــل يـــذهب

ولم يذكر منها سوى هذه الأبيات، فيشبه أن يكون فيها ما أنشد ابن حيان، ويشبه أن يكون قطعة في المنصور على انفراد؛ والظاهر أن الحميدي تركها ولم ير إثباتها.

ومن رجال المروانية في هذه المائة:

٨٨- أحمد بن مُحَمَّد بن أضحى الهمداني.

هو أحمد بن مُحَمَّد بن أضحى بن عَبْد اللطيف بن خالد بن يزيد بن الشمر من همدان؛ وخالد يقال له الغريب، وسمي بذلك لأنه أول مولود من العرب الشاميين بكورة إلبيرة. كان أبوه مُحَمَّد بن أضحى صاحب حصن الحمة من أعمال إلبيرة زمن الفتنة، وقام بأمر العرب بعد قتل سعيد بن جودي، وتمسك بموالاة أمير عَبْد الله بن مُحَمَّد إلى آخر مدته، وأورث عقبه نباهة ورياسة انسحبت عليهم دهراً.

وثار منهم القاضي أبو الحسن على بن عمر بن مُحَمَّد بن مشرف بن أحمد هذا بغرناطة في المائة السادسة، وسأذكره هنالك إن شاء الله عز وجل.

وقدم أحمد بن مُحَمَّد مع أبيه على الناصر عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد، باخعين بطاعته، داخلين في جماعته - وكان من أحسن الناس وجهاً، وأفصحهم لساناً، وأشهمهم نفساً، وأوسعهم أدباً - فاجل الناصر لقاءهما، وأحسن قبولهما، وأعلى منازلهما، وأجزل عطاءهما. وقام أحمد هذا يومئذ بين يديه خطيباً، ثم أنشد في إثر خطبته:

أيا ملكاً ترمي به قضب الهند ... إذا لمعت فوق المغافر والسرد
ومن بأسه في منهل الموت وارد ... إذا أنفس الأبطال كفت عن الورد
ومن ألبس الله الخلافة نعمة ... به، فاتت النعمى فجلت عن العد
تجلى على الدنيا فجلى ظلامها ... كما انجلت الظلماء عن قمر السعد
إمام هدى زيدت به الأرض بهجة ... ملبسة نوراً كموشية البرد
كفاني لديه أن جعلت وسيلتي ... ذماماً شامي الهوى مخلص الود

وأنشد له صاحب الحدائق:

هوى كدر الواشون منه الذي صفا ... ونموا بأفعى الإفك عني مزخرفاً
وشوا وأصاخت أذن خلي فما وفوا ... بتبليغه ما لم أقله ولا وفى

وهلا كما أنصفته في محبتي ثناهم ... على الأعقاب منهم فأنصفا؟
فلا كان واش كان داء ضميره ... هوانا، فلما أن رأى هجرنا اشتفى
ولا يفرحوا أن أوقدوا الهجر جاحماً ... فعما قريب ينطفي، أو قد انطفى

٨٩- لب بن عبيد الله بن أمية، أبو عيسى، ابن الشالية.

كان أبوه من كبار الثوار في أيام الأمير عَبْد الله بن مُحَمَّد؛ سماه ابن حيان في أعلام المخالفين عليه، وجعله ثانياً لديسم بن إسحاق صاحب تدمير، وبعده ذكر إبراهيم بن حجاج صاحب إشبيلية. وكان ملك جبل شمنتان وما يليها من كورة جيان، وامتد إلى حصن قسطلونة وغيره، وانطلقت يده فتبنك النعمة وبنى المباني الفخمة. وأظهر الإذعان وقتاً، بعد وقيعة جرت عليه، والتزم حمل قطيع من المال فورق عليه عما في يده، فلما روخى عاد إلى غيه فنكث، ووالى عميد المخالفين عمر بن حفصون، وواصله بالصهر من أسفل، فزوج ابنته من جَعْفَر ولد ابن حفصون، ونقلها إليه ببيشتر، ووصل يده بيده، فاعتز جانبه. وكان عبيد يس بن محمود الشاعر الأديب كاتباً لعبيد الله، ومتصرفاً في خدمته، مكثراً من مديحة، واصفاً لمغازيه ومبانيه وأحواله أوصاف الشعراء لأكابر الملوك، يستحسن ذلك منه ويجزل عطيته عليه، فشعره في ذلك مشهور؛ ومنه قوله في وصف قصره:

قصر الأمير أبي مَرْوَان منتسخ ... من جنة الخلد بالسراء معمور
فيه مجالس قد شيدت على عمد ... بنيانها مرمر بالتبر مطرور

ونازع الفتح بن موسى بن ذي النون عبيد الله حصناً أو رثها حرباً، فغلبه عليه عبيد الله وهزمه وحاز الحصن دونه، وتيمن بحضور ابنه لب بن عبيد الله معه في وجهه هذا، فقال عبيد يس في ذلك شعراً طويلاً منه:

جاء البشير بما عم السرور به ... عن الأمير أبي مَرْوَان في السفر
فقلت، حين سألناه فأخبرنا: ... بالله قل وأعد يا طيب الخبر
بيمن لب أبي عيسى وغزوته ... فاز الأمير على الأعداء بالظفر

يقول فيه:

قاد الجيوش إلى الأعداء مذرعاً ... يصلى الوغى بالوغى في سن مثغر

من تحته فرس، في كفه قبس ... يرمى الشياطين في الهيجاء بالشرر

وعجز البيت الثاني من هذه الأبيات منقول من قول أبي نواس:

يا ذا الذي عن جنان ظل يخبرنا ... بالله قل وأعد يا طيب الخبر

ولما غزا الناصر لدين الله عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد غزوته الأولى إلى جيان، خرج إليه عبيد الله مقالصاً في طاعته إياه، فأمر بالقبض عليه وأرسل إلى معاقله من ضبطها وحمل عياله إلى قرطبة، فصار في الديوان بها في أعلى الملاحق. وصرفه الناصر في ضروب من خدمته سكن منه فيها إلى نصاحة وثقة من أجل ذلك إلى معاقله بشمنتان والياً من قبله، لالتياث أحسه من اهد رعية أجهل منهم - فأصلحها عبيد الله وأقام بها إلى أن صرفه ثانية عنها وأعاده إلى

وكان ابنه لب بن عبيد الله أديباً شاعراً حسن التصرف، وهو القائل، أنشد بن أبي الحسين القرطبي في كتاب الفرائد من تأليفه في التشبيه:

صابحتها والروض يسطع مسكه ... فكأنه بالليل بات ..

والورد يبدو في الغصون كأنما ... أضحى يقارب من نداه

وله في الخيرى:

وكأنما الخيري إن أبدى النرجس ... أسراره عن نشر مسك أذفرا

لص يرائي بالنهار زهادة ... خوفاً ويقطع ليله متشطرا

وله:

وراهقة عنها السيوف كأنها ... عيون يروع الليث فيها حسيرها

إذا غشيتها البيض تعشى بنورها ... كأن سناها من أذاها مجيرها

كأن فؤادي فوق رأسي صلابة ... فكل حسام بتحيها كسيرها

يصف بيضة حديد.

ومن هذه القصيدة في وصف ترس:

وممثل قرص الغزالة في يدي ... هجمت به والخيل تدمى نحورها

تقلب مه الكف مغنطس القنا ... فلا آلة إلا إليه مصيرها

٩٠ - موسى بن مُحَمَّد بن سعيد بن موسى، مولى عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة، الحاجب الوزير، أبو الأصبغ[1].

كان - مع رئاسته وجلالته، ونباهة سلفه واستعمالهم في الكور وسنيات الخطط - من أهل العلم والأدب والشعر. وأول ما تصرف فيه للأمير عَبْد الله خطة القطع، ثم ولي خطة المدينة، وعزل عنها، وأعيد إليها. ولما أفضت الخلافة إلى الناصر عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد أقره على المدينة، واستوزره يوم استخلافه، ثم استحجبه عند وفاة بدر في سنة تسع وثلاثمائة، فاضطلع واكتفي.

وكان الوزير عَبْد الملك بن جهور يقول: ما رأيت مثل موسى: لم يجمعه أمير المؤمنين مع أحد إلا كان المستحوذ على المجلس في الجد والهزل.

وتوفي للنصف من صفر سنة عشرين وثلاثمائة - وقيل في آخر سنة تسع عشرة - فلم يستحجب الناصر بعده أحداً. وكان يحجبه عند قعوده لسلام الأجناد، ولوفود الأطراف، ورسل الأمم وأصحاب الخيل والمدينة والشرطة العليا والوسطى على مراتبهم مع سائر الخدمة. ومن شعره قوله يمدح عَبْد الرَّحْمَن الناصر ويذكر هيبته:

إذا ما فرجت خلل الستور ... ولاح وقد تمكن في السرير

ترى الأملاك مائلة لديه ... بأعناق إلى الغبراء صور

---

(١) الأعلام ٧/ ٣٢٧، وقال الزركلي: موسى بن مُحَمَّد بن سعيد بن موسى بن حدير: أبو الأصبغ الحاجب: وزير. كان رئيسا جليل القدر، من بيت مجد. استوزره الناصر الاموى عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بالاندلس، ثم استحجبه سنة ٣٠٩ هـ. وكان أديبا فصيحا، غزير العلم، حلو الحديث. ولما توفى لم يستحجب الناصر أحدا بعده.

كـــأنهم لهيبتـــه فـــد أوفـــوا ... مـــن المـــوت الزعـــاف عـــلى شـــفير

وله:

أبطـــأت بـــالإذن عـــلى عبـــدكا ... فعـــاذ بـــالمعروف مـــن نجـــدكا

قـد جـدت لي بالوعـد يـا سـيدي ... ولم تـــزل تـــصدق في وعـــدكا

إن لم يكـــن مـــن خـــدمتي شـــافع ... فـــالخلف مـــا يـــصلح مـــن عنـــدكا

وله:

معظـم تحـسر الألحـاظ مـن رهـب ... عنـه، وتلحظـه الآمـال مـن رغـب

إذا بـدا تـضحك الـدنيا لطلعتـه ... وتتقـى الجـن منـه سـورة الغـضب

لـما ارتقـى في سـماء الجـود قـاد بـه ... إلى التبـــذل فينـــا جـــوهر الأدب

وله:

كـان العـزاء ولي العهـد بعـد أميـ ... ـن الله، والملـك وقـف بـين هـذهين

فـصرت لمـا نـأت عنـي وجههـما ... كالصقر أصبح مقصوص الجناحين

أستودع الله من نفسي فـــداؤهما ... ومليا العمر في الدنيـــا عزيزين

تأميل هذين نقـــد ناجز، وأرى ... تأميل غيرهمـــا كالدين بالدين

أعد ما حزتـــه من حسن رأيهما ... ملكاً، أضاهى به ملك العراقـــين

وحكى ابن حيان أن موسى بن مُحَمَّد بن موسى بن خدير - عم الحاجب موسى هذا - وهو المعروف بالزاهد، كان ممن يكثر مجالسة الأمير عَبْد الله ويصل مؤانسته. وكان حدثاً ظريف المشاهدة، مليح العبارة، إخبارياً، ممتعاً، حفظة لأخبار دولة مواليه بني أمية، مفتناً، مفوهاً، بليغاً، يقرض أبياتاً من الشعر حسنة، بديهة وروية. قال: فشهد مجلس مذاكرة الأمير عَبْد الله يوماً وهو حافل بأهل الأدب والمعرفة، وقد أفاضوا فيما كانوا يفيضون فيه من أبواب المذاكرة، حتى مر ذكر الشيب وذمه - وكان الأمير عَبْد الله شديد التكره له - فقال لجلسائه:

أي شيء تروونه في ذم الشيب أبلغ؟ فلم يحضر أحدهم شيئاً إلا موسى بن مُحَمَّد هذا فقال أحسن ما قيل فيه عندي، قول الأول:

أقول لضيف الشيب إذ حل مفرقي: نصيبك منى جفوة وقطوب

حرام علينا أن تنالك عندنا كرامة بر أو يمسك طيب

فاستحسنها الأمير وقال له: اكتبها يا موسى وزد فيها، إن كانت فيها عندك زيادة، فقال: لا والله يا سيدي ما عندي فيها مزيد. وتبطأ الوصيف بإحضار الدرج والدواة لموسى بن مُحَمَّد، وموسى مطرق أن يتأتى له القول في الزيادة التي استمطرها منه الأمير، فقال: قد جاءني يا سيدي - بسعدك - بعض الذي أردته، واندفع فوصل البيتين بقوله:

فياشر ضيف حل بي، وحلوله يخبرني أن الممات قريب

وأن جديدي كل يوم إلى بلى وأني من ثوب الشباب سليب

فما طيب عيش المرء إلا شبابه وليس إذا ما بان عنه يطيب

سأقريك يا ضيف المشيب قرى القلى فما لك عندي في سواه نصيب

وأبكي على ما قد مضى من شبيبتي بكاء محب قد جفاه حبيب

مضى مسلماً لهفي عليه! مدى المدى فليس إلى يوم التناد يؤوي

فسر الأمير عَبْد الله بما أتى به، وأثنى على قريحته.

وأنشد له أبو عامر السالمي في كتاب حلية اللسنان وبغية الإنسان في التشبيهات من تأليفه:

ليت شعري كيف يفرى لحظه من شغاف القلب باللحظ الأكل

طرفه ساج، وفيه مرض كم صحيح قد رماه فقتل

من مجيزي من رشأ ألحاظه إنما تذكرني وقع الأسل

وقرأت في تاريخ الحميدي أن صهيب بن منيع - وكان قاضياً بإشبيلة - كان نقش خاتمه:

يا علياً كل عيب عيب كن رفيقاً بصهيب

وأنه كان يشرب النبيذ - لعله كان يذهب مذهب أهل العراق - فشرب مرة عند الحاجب موسى بن حدير - وكان من عظماء الدولة الأموية - فلما غفل أمر باختلاس خاتمه، وأحضر نقاشاً فنقش تحت البيت المذكور:

واستر العيب عليه إن فيه كل عيب

ورد الخاتم إليه. وختم القاضي به زماناً حتى فطن له.

٩١- أحمد بن عَبْد الملك بن شهيد الوزير، أبو عمر[1].

هو أحمد بن عَبْد الملك بن عمر بن مُحَمَّد بن سعيد بن عيسى بن شهيد بن الوضاح الأشجعي.

وقال الرازي: إن جدهم مولى مُعَاوِيَة بن مَرْوَان بن الحكم. وكان الوضاح مع الضحاك بن قيس يوم مرج راهط. وشهيد بن عيسى هو الداخل إلى الأَنْدَلُس في أيام عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة، وتصرف بنوه للخلفاء في الخطط السنية، من الإمارة والحجارة والوزارة والكتابة، إلى انقراض الدولة الأموية بالأندلس.

وتصرف أحمد هذا للناصر عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد في ولاية الكور والوزارة وقود الصوائف، وغزا البشكنس. وهو أول من سمي بـ(ذي الوزارتين). وكان من أهل الأدب البارع. حكى الحميدي عن أبي مُحَمَّد بن حزم بسند ذكره أن أحمد بن عَبْد الملك هذا زار عَبْد الملك بن جهور الوزير - وكانا جميعاً يخدمان الناصر عَبْد الرَّحْمَن - فوافقه محجوباً ولم يمكنه الاجتماع به، فكتب إليه:

أتيناك، لا عن حاجة عرضت لنا إليك، ولا قلب إليك مشوق

ولكننا زرنا بضعف عقولنا حماراً تولى برنا بعقوق

فأجابه ابن جهور بقوله:

حجبناك لما زرتنا غير تائق بقلب عندو في ثياب صديق

---

(١) الأعلام ٤/ ١٥٦.

وما كان بيطار البشآم بموضع يباشر فيه برنا بخليق

وذكرت بقول ابن شهيد قول عَبْد الملك بن سعيد المرادي الخازن:

ما حمدناك إذ وقفنا ببابك للذي كان من طويل حجابك

بل ذممنا الزمان فيك وقلنا: أبعد الله كل دهر أتى بك!

ولأبي عمر بن شهيد:

جريت مع العشاق في حلبة الوجد ففاتهم وصلى وما عرفوا جهدي

وما نهج العشاق في الحب منهجا ولا سلكوا إلا السبيل التي أهدى

وما اضمر العشاق في الوجد غاية من الشوق إلا وهي من بعض ما أبدى

وما ضعفوا عن حمل ثقل [... ...](١) اضطلعت به وحدي

أنا فاتح المنهاج في سبل الهوى كما عابد الرَّحْمَن فاتحه المجد

وخاتمه العشاق شرقاً ومغرباً كما عابد الرَّحْمَن خاتمة الرشد

٩٢ - ابنه عَبْد الملك بن أحمد الوزير، أبو مَرْوَان(٢).

كان على طليطلة لهاشم بن الحكم المؤيد، ومنها خاطبه مهنئاً بمقتل غالب القائد صاحب مدينة سالم في خلافة. ومن شعره:

طلع البدر علينا فحسبناه لبيا

والتقينا فراينا ه بعيداً وقريبا

---

(١) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل.

(٢) الأعلام ٧/ ٢٢٧ وقال الزركلي: عَبْد الملك بن أحمد بن عَبْد الملك بن شهيد القرطبي، أبو مروان: وزير، من أعلام الاندلس ومؤرخيها وندماء ملوكها. ولد ومات بقرطبة.

له " تاريخ " كبير يزيد على مئة جزء، بدأه بعام الجماعة (سنة ٤٠ ه) وختمه عام وفاته، مرتبا على السنين، وجمع ما وجد من شعره في " ديوان - ط ".

وله:

قصرت عن شأوى فعاديتني ... أقصر فليس الجهل من شاني

إن كان قد أغناك ما تحتوي ... بخلا، فإن الجود أغناني

٩٣ - عَبْد الوهاب بن مُحَمَّد بن عَبْد الوهاب الوزير، أبو وهب[1].

هو عَبْد الوهاب بن مُحَمَّد بن عَبْد الوهاب بن عَبْد الرءوف بن عَبْد السلام بن إبراهيم بن يزيد بن عَبْد الله بن جابر بن عمر بن أيوب، مولى مَرْوَان بن الحكم.

وكان عَبْد الله بن جابر قاضياً لعمر بن عَبْد العزيز بالشام، ودخل الأَنْدَلُس من عقبة عَبْد السلام بن إبراهيم وأخواه أبو المفوز وعقبة فتناسلوا بها، وخدموا الخلفاء وتصرفوا في الولايات.

وحكى أبو بكر الرازي أن عَبْد السلام ولد اثنى عشر ولداً. قال: وكان أميناً للأمير عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة بكورة إلبيرة، ويكنى أبا الدلهاث.

وولى ابنه عَبْد الرءوف طليطلة وما والاها للأمير عَبْد الرَّحْمَن بن الحكم سبعة أعوام، وتصرف في كثير من الكور، ثم استوزره في أخريات أيامه. واستوزره أيضاً الأمير مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن، وتوفي وهو وزير.

وولى عَبْد الوهاب بن عَبْد الرءوف الكور المجندة وغيرها، أيام الأمراء مُحَمَّد وابنيه المنذر وعبد الله، وتوفي بإشبيلية وهو عامل عليها.

وولى مُحَمَّد بن عَبْد الوهاب كورة جيان ومات بها.

وتصرف عَبْد الوهاب بن مُحَمَّد هذا لأمير المؤمنين الناصر عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد في الولايات والأمانات، ثم استوزره. وذكره أبو بكر الزبيدي في كتاب طبقات النحويين من تأليفة وقال: كان بصيراً بالعربية، طالع كتاب سيبويه ونظر فيه. وكان ذا كبر عظيم وأبو

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/١٠٦.

مفرط، ويظهر مع ذلك زهداً. وولي الوزارة، فكان لا يزال يورد على أصحابه من الوزراء مسائل من عويص النحو، حتى برموا به واستعفوه من ذلك. وهو القائل، وكان سناطاً:

ليس بمن ليست له لحية ... بأس، إذا حصلته، ليسا
وصاحب اللحية مستقبح ... يشبه في طلعته التيسا
إن هبت الريح تلاهت به ... وماست الريح به ميسا

وله:

قتلت عيناك عبدك ... قبل أن تقضي وعدك
حلت عن عهد محب ... لم يزل يحفظ عهدك
ما لأفعالك [... ....][1] لا تشبه ندك

وله:

إذا ما بدا يعشى العيون بسنة ... منافيه تغني عن الشمس والبدر
ووجه إذا ما الأنجم الزهر أبصرت ... محياه ظنته من الأنجم الزهر

وله:

أحوذي في مجده أوحدي ... ليس يحكى سناؤه وسناه
من رآه فقد رأى الغيث والليـ ... ـث جميعاً في بأسه ونداه
يستميل العيون منه رواء ... ترتوي من حيائه وحياه
إن بدا خلت أنه قمر الأر ... ض وصنواه حوله كوكباه

وله:

ليهنى الناس في ملكه ... أن ابنه التاسع من بعده
يقوم في الملك مقاماته ... ويحتذي فيها على قصده
أوتي حكماً فات فيه الورى ... فكاد أن ينطق في مهده

---

(١) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل.

حمـــل أعبـــاء العـــلى فـــاكتفى عفـــواً ولم يبلـــغ إلى جهـــده

ودخل يوماً على عَبْد الملك بن جهور الوزير فأقعده إلى جنبه، ومال إليه بحديثه، ثم دخل الخرونى فأقعده فوقه؛ فخرج أبو وهب مغضباً وكتب إليه:

بلوتـك أسـنى العـالمين وأفـضلا وأهذب في التحصيل رأياً وأكملا
فقل لي: ما الأمر الذي صار مخملي لـديك فأضـحى مسقطاً لي مخملا؟
تقـدم مـن أضـحى تقـدم لومـه لقد ضـل هـذا مـن فعالـك مشكلا
ومـا كنـت أرضى يعلـم الله أنـني أسـاويه في الفـردوس داراً ومنـزلا
فإن كنت قد قصرت بي عن محلتي صـبرت، ومـا زال التـصبر أجملا
ورحـت عـلى الـدهر المليم ألومه فقـد هـيض أعـلاه وغـودر أسـفلا
وكنـت جـديراً في كمالـك أن تـرى لمـثلي نُبـهـياً مـن ودادك أجـزلا

فأجابه عَبْد الملك بأبيات منها:

غـــدرتك، إلا أن فـــرط محبتـــي وإخـــلاص ودي ســـهلاً لي التـــدللا
ظلمتـك فـيما كـان منـي مجملا عـلى غـير تحـصيل وعاتبـت مجملا
تقربت من قلبي، وإن كنـت آخـراً وأخـــر عـــن قلبـــي، وإن كـــان أولا
وما أجهل القدر الـذي أنـت أهلـه ولا شرفـاً أضـحى عليـك مظلـلا
فـإن عـن تقـصير بغـير تعمـد فغـــط عليـــه مـــنعماً متطـــولا

٩٤ - أخوه غالب بن مُحَمَّد بن عَبْد الوهاب، أبو عَبْد السلام.

ولي خطة العرض، وكتب للحكم وهو ولي عهد في حياة أبيه الناصر؛ ذكر ذلك الرازي.

وأنشد له صاحب الحدائق:

جفون همت مذ غاب عنها حبيبهـا ونفـس بهـا للـشوق نـار تـذيبها
تيقنـت إذ ودعتهـا أن مهجتـي سيقـضي غليهـا شـوقها ونحيبهـا
شفقت جيوبي يـوم بانـت، وطالما أطـال غـذابي مـا طوتـه جيوبهـا

وللحب حالات تمر خطوبها ... إذا قربت بالبين تحلو خطوبها

معذبتي، لا تأسفي، فلعلها ... تعود لياليا القصار وطيبها

ألا ليت نفسي تستطيع فداءها ... ويا ليتها من كل خير نصيبها

يعيبونها عنداً لأسلو ذكرها ... وما عاب إلا نفسه من يعيبها.

٩٥ - جهور بن عبيد بن أبي عبدة الوزير، أبو الحزم[1].

قال أبو بكر أحمد بن مُحَمَّد بن موسى الرازي، في تأليفه في الأنساب المسمى بالاستيعاب: الوزير جهور بن عبيد الله هو جهور بن عبيد الله بن مُحَمَّد بن الغمر بن يحيى بن عَبْد الغافر بن حسان بن مالك بن عَبْد الله بن جابر.

وكان عَبْد الله مملوكاً لمروان الحكم، أبلى يوم وقيعة مرج راهط بلاء حسناً فأعتقه.

والداخل من أجداد هذا الوزير حسان بن مالك، وهو أبو عبدة. وكان دخوله سنة ثلاث عشرة ومائة، قبل دخول عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة بخمس وعشرين سنة. وولد حسان بالمشرق أولاداً قتلوا، إلا عَبْد الغافر لصغره، فنشأ مع عَبْد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة، وتأدب معه بالمشرق. ولما قدم بدر مولى عَبْد الرَّحْمَن بخبره على مواليه الشاميين، استراح به إلى أبي عبدة، فوجه ابنه عَبْد الغافر إليه.

فلما توطد عَبْد الرَّحْمَن، استوزر أبا عبدة واستقوده، ثم استعمله على إشبيلية قائداً بها، ومضيفاً عل أهل باجة وغيرها، فملك الغرب أجمع خمسة أعوام، إلى أن توفي بإشبيلية؛ وقبره بها.

وتصرف عَبْد الغافر في الوزارة للإمام عَبْد الرَّحْمَن، وبرئ إليه بخاتمه، إلى أن مات.

قال: وأما عبيد الله بن مُحَمَّد بن الغمر، فإنه تصرف في الكور وحجابة الأولاد والمدينة والخيل والكتابة والقيادة؛ وقد تقدم ذكر ذلك.

قال: وتصرف جهور بن عبيد الله في الكور والأمانات والقيادة والمدينة والوزارة للناصر.

---

(١) الصلة ١/ ٢٤٠.

وقال غيره: كان عبيد الله والد أبي الحزم هذا - مع تحققه بالمعرفة والأدب والبلاغة - ذا بأس وشجاعة وغناء في الحروب، وله فتوح جمة ومقاوم حميدة.

واستأذن الأمير عَبْد الله بن مُحَمَّد في آخر دولته لقضاء فريضة الحج فأذن له، وحج ثم انصرف إلى قرطبة فانقبض عن السلطان، وأخلد إلى الخمول، وأقام على حاله تلك في داره إلى أن توفي سنة ست وتسعين ومائتين، آخر أيام الأمير عَبْد الله.

وتصرف ابنه جهور بعده - فيما ذكره الرازي - وكان شاعراً مكثراً: فمن شعره قوله من أبيات في تفصيل الورد، وكأنه يرد بها على ابن الرومي:

خضعت نواوير الرياض لحسنه ... فتذللت تنقاد وهي شوارد

وإذا تبدى الورد في أغصانه ... ذلت، فذا ميت وهذا حاسد

وإذا أتى وفد الربيع مبشراً ... بطلوع صفحته فنعم الوافد

ليس المبشر كالمبشر باسمه ... خبر عليه من النبوة شاهد

وإذا تعرى الورد من أوراقه ... بقيت عوارفه فهن خوالد

وله:

يا عاتباً لي بالصدو ... د ألا ذكرت قبيح غدرك؟

أخليت من قلبي مكا ... نا كان معموراً بذكرك

وأنا أحبك لو وثقـ ... ـت وأستديم بقاء عمرك

وله:

يا لائماً والظلم منـ ... ـه ظاهر لي والفظاعه

كم قد ضرعت وقد سمعـ ... ـت فما لويت إلى الضراعه

فلئن رجعت كما علمـ ... ـت لأقطعن فيك الجماعة

ومتى لججت على الأذى ... جازيت فعلك في صاعه

وله:

أسأت لعمري إذ أسأت بي الظنا ... وألزمتني ذنباً شغلت به الذهنا
تجنيت في عذلي كأبى مذنب ... رويدك، إن العذل قد يوجب الشحنا
فلا تتجن الذنب من غير علة ... فرب تجن يورث الحقد والضغنا
وإني امرؤ محض المودة مخلص ... أصافي خليلي بالذي هو بي أسنى
وإن زل يوماً في ودادي أقلته ... وقارضته في ذاك بالصحبة الحسنا
وهل لي فدتك النفس دونك راحة ... وأنت شقيق النفس والأقرب الأدنى؟
فثق بي، ولا تعجل على، فإنني ... أدين بما ترضى، وأعني بما تعني
ولا ذنب لي فيما علمت ولم أكن ... لأصغى إلى الواشين في قيلهم أذنا

وله:

انظر إلى محن الزما ... ن تزدك في الدنيا اعتبارا
واسمع لنعي الذاهبي ... ن وكن كواحدهم حذارا
واعمل بجد الخسائفي ... ن ولا تنم إلا غرارا
واعلم بأنك لاحق ... من قد كرهت له جوارا
إن الليالي ما فتئ ... ن تكدر العيش المعارا
وتفرق الشمل الجمي ... ع وتجلب الأمر النضرارا
فحوادث فيها استلب ... ن أخاً دعون به فسارا
رزء إلى جنب اغترا ... ب أرثا في القلب نمارا
وفجيعة سلفت وكا ... نت محنة لي واختبارا
بأخ شقيق ما أطي ... ق على رزيته اصطبارا

ومنها:

اصبر فلست ترى على ... أحد حماه الصبر عارا

فالـــصبر أنفـــع دخـــرة لـــو كنـــت آتيـــه اختيـــارا

أنشد أبو نصر الفتح بن عبيد الله الإشبيلي في كتاب "مطمح الأنفس ومسرح التأنس في محاسن أهل المغرب والأندلس" من تأليفه أكثر هذه الأبيات والتي قبلها، ونسبها لأبي الحزم جهور بن مُحَمَّد بن جهور رئيس قرطبة المتأخر غلطاً منه ووهماً لا خفاء به، وإنما هي لجده جهور بن عبيد الله هذا المذكور هنا. ثم أعقب غلطه بغلط آخر أفحش منه، فأورد ابياتاً لابن فرج فيه يرثيه، وأتى بعد ذلك برثاء ابن زيدون فأفرط وخلط، وألحق بالباطل الحق. أما ابن زيدون فرثاؤه لأبي الحزم الأخير صحيح غير معترض، وأما ابن فرج فموته من مولده مقتربان، عمرك الله كيف يلتقيان؟ ولد جهور بن مُحَمَّد سنة أربع وستين وثلاثمائة في المحرم، وتوفي ابن فرج إثر وفاة الحكم المستنصر بالله في صفر سنة ست بعدها. وللفتح أيضاً غلط ينضاف إلى ما تقدم في نسبة ببتين لأبي الحزم هذا، وأنشدهما الحميدي لجهور بن مُحَمَّد التجيبي أبى مُحَمَّد المعروف بابن الفلو، هو الصحيح - لأنه ذكر أنه شاهد بالمرية وكتبهما من شعره وهما:

قلـت يومـاً لـدار قـوم تفـانوا: أيـن سـكانك الكـرام علينـا؟

فأجابـت: هنـا أقـاموا قلـيلاً ثـم سـاروا، ولـست أعلـم أينـا

ولم يلق الحميدي أبا الحزم فيما علمت، وإن كان عاصره. ولعل الفتح من كتابه استفاد هذين البيتين. واشتباه الأسماء جر هذا الخلل، وعدم المبالاة بضبط الموالد والوفيات كثيراً ما يوجد الزلل. وسيأتي ذكر أبى الحزم الأَنْدَلُسي الأخير في المائة الخامسة مستوفى إن شاء الله عز وجل.

٩٦- أخوه مُحَمَّد بن عبيد الله.

هو أسن من أخيه جهور، وجهور أشهر منه، وتصرف مُحَمَّد هذا في الكور والقيادة - قاله الرازي. وانشد له الحميدي يخاطب أبا عمر بن عَبْد ربه:

أعـــدها في تـــصابيها خـــداعا فقـــد فـــضت خواتمهـــا نزاعـــا

قلـوب يـستخف بهـا التـصابي إذا أسـكتها طـارت شـعاعا

فأجابه:

حقيـق أن يـصاخ لـك اسـتماعا وأن يعـصى العـذول وأن تطاعـا

متـى تكـشف قناعـك للتـصابي فقـد ناديـت مـن كـشف القناعـا

متـى يمـش الـصديق إلى فـتراً مـشيت إليـه مـن كـرم ذراعـا

فجـدد عهـد لهـوك حـين يـبلى ولا تـذهب بـشاشته ضـياعا

٩٧ - عَبْد الرَّحْمَن بن بدر بن أحمد.

كان بدر وصيفاً للأمير عَبْد الله، فأعتقه وصرفه في الخطط الشريفة. ثم ولاة الناصر الوزارة والحجابة والقيادة والخيل والبرد، وكان ينفرد بالولايات فتكتب السجلات في داره، ثم يبعثها للطبع فتطبع وتخرج إليه، فيبعث في العمال وينفذون على يديه. وولى عَبْد الرَّحْمَن هذا الكتاب والوزارة والعرض والخزانة للناصر، وصرفه في عمارة كورة إشبيلية ومن شعره:

لـساني كـان مـن أعـداء قلبـي إذ الزمـه الـذنوب بغـير ذنـب

إلى مـن اشـتكى عـدوي اعتـذار أمـرّ مـذاقتي طعمـي وشربي

وأسـهر مقلتـي وأسـال دمعـي لفرط الوجـد، سكبا بعـد سكب؟

وله:

يـا وردة وسـط روضـة سـنفرت لـو رمتهـا باللحـاظ لا بتـشرت

ودرة في الجـمال مفرغـة لـولا حجـاب يكنهـا بهـرت

دع كبـدي في الـضلوع آمنـة وخـذ جفـوني فإنهـا نظـرت

٩٨ - إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد، أبو بكر[1].

كان مولى نعمة لبني أمية، وولى إشبيلية للناصر عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد، وكان أثيراً لديه، ومنادماً له، وعاش إلى أول دوله ابنه الحكم المستنصر بالله. وقد حمل عنه الحديث لسماعه من

(١) جذوة المقتبس ١/ ١٥٩، والأعلام ١/ ٣١٠.

بقي بن مخلد والخشني ومُحَمَّد بن وضاح وطبقتهم، فاحتاج إليه الناس - ذكره ابن القرضة في تاريخه، وذكر أن صناعة الشعر غلبت عليه؛ وهو أحد المكثرين. أنشد له ابن فرج في كتاب "الحدائق" من تأليفه:

وذي لجب كالبحر عب عبابه ... فضاق به رحب الفلا والتنائف
قريب الخطى، نائى المدى، مالئ الملا ... بجمع تراه واقعاً واقف
تركنا به أرض العدو كأنها ... مجاهل للمرتاد غير معارف
غدت بعد سحب البيض فيها ذيولها ... مجر ذيول الطامسات العواصف

وله في الناصر:

لو كان يعبد دون الله من أحد ... ما كان غيرك في الدنيا بمعبود
قد فات قدرك وصف الواصفين فما ... ذكراك إلا بتحميد وتمجيد
لما ذكرتك يوماً قلت من جذل: ... يا نعمة الله في أيامه زيدي!

وله في بيعة المستنصر بعد وفاة أبيه الناصر:

لئن غربت شمس لقد طلعت شمس ... فما في صلاح الأرض ريب ولا لبس
بمستنصر بالله دان لملكه ... وأيامه الميمونة الجن والإنس
تولى أمير المؤمنين فأصبحوا ... وما بينهم نجوى بعدوى ولا همس
فلا سقيت أرض بغير سحابه ... بلالاً، ولا سرت لساكنها نفس
وإن شد حلس لا يكون ثيابه ... فلا نهضت يوماً بمن شده عنس

وأنشد له الحميدي عن أبي مُحَمَّد بن حزم:

أناجي حسن رأيك بالأماني ... وأشكو بالتوهم ما شجاني
ولي بعسى ولو ولعل روح ... ينفس عن كئيب القلب عان
ومحض هوى بظهر الغيب صاف ... ترى عيني به من لا يراني
على ذاك الزمان وإن نقضي ... سلام لا يبيد على الزمان

كفاني يا مدى أملي بعاد ... تمنيت المنى له، كفاني

وله يرثي ابنه:

غرست قضيباً زعزعته يد الردى ... فخلوا دموع العين تبك على غرسي

وهذا حمام الأيك يبكي هديله ... فما لهديلي لا تذوب له نفسي؟

وله فيه:

ما حزن يعقوب على يوسف ... أشد من حزني على أحمد

أحمد ملحود، فهل نستوى ... وذاك لم يقبر ولم يلحد؟

وكان يرجوه، وهل أرتجى ... هذا وقد غمضته باليد؟

وله في توت أهداه:

تفاءلت بالتوت التأني لزورة ... وذلك فال ما علمت صدوق

فأهديته غضا حكى حدق المها ... له منظر بالحسن منه يروق

وبعض حكى الياقوت منه احمراره ... وما مجه للذائقين رحيق

فذا سبج فيما يرى لا سوداد ... هوذا لا حمرار اللون منه عقيق

٩٩- عبيد الله بن أحمد بن يعلى بن وهب.

ولاه الناصر عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد ما كان بيد أبيه - أحمد بن يعلى، قائده الجليل المقدار، الحميد الآثار - من قيادة الجوف بطليوس وأعمالها حين نوه بأحمد المذكور، وولاه طليطلة وأعمالها من الثغر الأدنى، ورفع رزقه إلى أرزاق الوزراء، مع مقامه على خطته في الشرطة العليا، وسمى قائد الأعنة، وذلك في صفر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة. فأغنى عبيد الله في قتال الروم غناء أبيه وتوالت له فيهم فتوح وكان أديباً شاعراً وهو القائل من قصيدة:

ترى الأرض فينا لا يقر قرارها ... إذا لم يسسها من أمية سائس

ذوو الهضبات الشم والأبحر التي ... تفيض ملاء والملوك الأشاوس

هم ذهبوا بالمكرمات ولم يزل ... لهم جبل العز القديم القوامس

وهم نزلوا خندف حيث تلتقى ... رؤوس قصى في الذرى والمغاطس
وهم غمسوا في جفنة الطيب قبل أن ... يرى أحد من قومهم وهو غامس
وهم أوقدوا حرب الفجار حفيظة ... فقامت بها أعياصهم والعنابس
بها ليل من إن يستضيف إليهم ... بما شيدوا إلا الخصال النفائس
إذا سوجلوا لم يحتملهم مساجل ... وإن قويسوا لم يستطعهم مقايس
تطيف بهم ساحات مكة في العلا ... وتكنفهم منها البطاح الأمالس

وكان أخوه يعلى بن أحمد أديباً أيضاً، وسيأتي ذكره.

١٠٠ - جَعْفَر بن عثمان المصحفي الحاجب الوزير، أبو الحسن[1].

هو جَعْفَر بن عثمان بن نصر بن قوى بن عَبْد الله بن كسيلة من برابر بلنسية، ينتمي إلى قيس بالمحالفة.

وذكر ابن الفرضي في تاريخه أباه عثمان وقال في نسبه بعد نصر: ابن عَبْد الله بن حميد بن سلمة بن عباد بن يونس القيسي.

وكان قد أدب الحكم، وذلك أزلف جَعْفَراً عنده وأدناه منه فاستخدمه بالكتابة في إمارته. وولى جزيرة ميورقة في أيام الناصر، ثم تقلد الحكم الخلافة فاستوزره، وأمضاه مع ذلك على كتابته الخاصة، وضم إليه بعد مدة ولاية الشرطة، وأخدمه ابنه هشاماً.

وأقام على ذلك إلى وفاة الحكم واستخلاف هِشّام ابنه، فحجبه يوم قعوده للبيعة، وذلك يوم الاثنين لخمس خلون من صفر سنة ست وستين وثلاثمائة، وعن يمينه ويساره الفتيان جؤذر وفائق، ثم أهل الخطط على منازلهم. وكان القائد مُحَمَّد بن عَبْد الله بن أبي عامر - وهو

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ١٦٧، وقال الحميدي: جعفر بن عثمان أبو الحسن الوزير الحاجب المعروف بابن المصحفي، كان من أهل العلم والأدب البارع، وله شعر كثير رائع، يدل على طبعه وسعة أدبه؛ وكان الوزير الناظر في الأمور قبل المنصور أبي عامر مُحَمَّد بن أبي عامر، ثم قوى المنصور بصبح وتعويلها عليه، وتغلب فنكب جعفرا، ومات في تلك النكبة.

إذ ذاك يتولى الشرطة الوسطى والسكة والمواريث والوكالة - يشرف على عقد الشهادات في نسخ البيعة بين يديه، بعد ما كان القاضي مُحَمَّد بن إسحاق بن السليم يأخذها على طبقات من شهدها من الأعمام وأبنائهم والوزراء وضروب أهل الخدمة ورجالات قريش وأعلام قرطبة- حكى ذلك عيسى بن أحمد الرازي.

قال: ثم لما كان يوم السبت لعشر خلون من صفر المؤرخ، قلد هِشَام حجابته جَعْفَر بن عثمان لقوم صحبته لأبيه المستنصر، وكان المستنصر قد شرفه لتأديب أبيه عثمان بن نصر له، وصرفه في الأعمال، وقدمه إلى الكور، ثم استكتبه وهو ولي عهد - وذكر نحواً مما تقدم من خبره - قال: ثم قدم هِشَام المؤيد ابن أخيه هِشَام بن مُحَمَّد بن عثمان إلى خطة الخيل، ثم إلى الوزارة، وولى بنيه - مخمداً، وعثمان، وعبد الرَّحْمَن - وأخاه سعيداً، وابن أخيه مُحَمَّداً، الشرطة العليا والوسطى، فلم ينهض بعبء ما قلده، وخلف على المدينة ابنه مُحَمَّداً فأساء السيرة. وزكا على المحبة أبو عامر مُحَمَّد بن أبي عامر، فبسط المؤيد يده وقبض يد جَعْفَر بن عثمان، فأداله وابن أخيه.

وقال ابن حيان: استطال عليه مُحَمَّد بن أبي عامر بكفايته ودفاعه العدو المتكالب، لأول ولاية هِشَام ووفاة الحكم، واستظهر على ذلك بمصاهرة غالب القائد مولى الناصر عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد.

وقد كان غالب - فيما حكى الرازي - شارك جَعْفَر بن عثمان في الحجابة، وصير فراشه في الصدر، وعن يمينه جَعْفَر، وعن يساره أبو عامر للوزارتين. قال ابن حيان: فأدى ذلك إلى القبض على جَعْفَر، وعلى ولده وأسبابه، وعلى أخيه هِشَام وسائر أقاربه، وطولبوا بالأموال. وكان ابن أبي عامر يحمل جَعْفَراً معه في الغزوات، تعنيتاً وانتقاماً منه. فلما بان عجزه وضعف، أقر بالمطبق إلى أن هلك فيه سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، فأسلم إلى أهله في أقبح صورة - وقيل: قتل خنقاً. وكان مقدماً في صناعة الكتابة، نفضلاً على طبقته بالبلاغة. وله شعر كثير مدون يدل على تمكنه من الإجادة، وتصرفه في أفانين البيان؛ وهو القائل:

سألت نجوم الليل: هل ينقضي الدجى؟ فخطت جواباً بالثريا كخط لا!

وكنـــت أرى أني بـــآخر ليلـــة فـأطرق حتـى خلتـه عـاد أولا
ومـا عـن هـوى سـامرتها، غـير أننـي أنافسها المجـرى إلى رتـب العـلا

وله:

أما والهوى ما كنت أعرف ما الهوى ولا ما دواعـي الـشوق حتى تكلما
دعـاني بلفـظ لـو دعـا يـذبلاً بـه للبـاه مـشتاقاً ووافـاه مغرمـا

وله، ويروى لغيره:

كلمتنـي فقلـت: در سـقيط فتأملـت عقـدها هـل تنـاثر
وازدهاهـا تبـسم فأرتنـا عقـد در مـن التبـسم آخـر

وله:

إن فـاه أشربـت الـضلوع هـوى حتـى كـأن جميعهـا أذن
لا تنكـروا كلـف الـضلوع بـه فحديثـه لوجيهـا سـكن

وقرأت في كتاب الفرائد في التشبيه لابن أبي الحسن القرطبي منسوباً إليه:

بـادر، فـإن نـذير الغيـث قـد نـذرا مجـدداً لـسرور كـان قـد دثـرا
أرخت عزاليه واصـطرت بعنـصره ريح الصبا واستدرت دمعه فجرى
أوفى فـبرد مـن حـر القلـوب كـما أوفى عليتـا حبيـب طالمـا هجـرا
فلاقـه بكـؤوس الـراح مترعـة شكراً له، فكريم القوم من شكرا

وله في سوسنة:

يـا رب سوسـنة قـد بـت ألثمهـا وما لها غـير طعـم المسك مـن ريـق
مصفرة الوسـط، مبيض جوانبهـا كأنهـا عاشـق في حجـر معـشوق

وله في الخيال:

لـئن سـلبوني شخـصه ووصـاله لمـا قـدروا أن يـسلبوني خيالـه
إذا حجبـت عـن الحـوادث وجهـه أقـام الهـوى لي حيـث كنـت مثالـه

وله:

وكم مهمه لا يوجد الركب مشرعاً ... قطعت، وبحر شامخ الموج أسفعا
خضم إذا استعلت به الشمس لم يزل ... يطاولها حتى تمل فتخضعا
تغيب وتبدو فيه حتى كأنما ... غدا مغربا تجرى إليه ومطلعا
إذا ما ارتمت أمواجه خلت أنها ... ذرى الشم أمتا من البر نزعا
تقاذف في رحب الجمال بسيطها ... يرد وفود الريح حسرى وظلعا

وله في تفاحة:

لعمري لئن أهديت نفسي وما حوت ... فأنت بها منى أحق وأملك
ولكنني أهدى التي لا تردها ... يمين ولا فيها لذي اللحظ مترك
تناولتها من غصنها وكأنها ... من الحسن ذاك الناجم المتفلك

وله في سفرجلة:

ومصفرة تختال في ثوب نرجس ... وتعبق عن مسك ذكى النفس
لها ريح محبوب وقسوة قلبه ... ولون محب حلة السقم مكتسن
فصفرتها من صفرتي مستعارة ... وأنفاسها في الطيب أنفاس مؤنسى
فلما استتمت في القضيب شبابها ... وحاكت لها الأنواء أبراد سندس
مددت يدي باللطف أبغى اقتطافها ... لأجعلها ريحانتي وسط مجلسي
وكان لها ثوب من الزغب أغبر ... يرف على جسم من التبر أملس
فلما تعرت في يدي من لباسها ... ولم تبق إلا في غلالة نرجس
ذكرت بها من لا أبوح بذكره ... فأذبلها في الكف حر تنفسي

وله وقد أهديت إليه رامشنة ورد في زمن البرد، فاستغربها وكتب إلى مهديها:

لعمرك ما في فكرة الروض قدرة ... يحيل بها مجرى الزمان عن القصد
ولكنها أخلاقك الغر نبهت ... بربعك في كانون نائمة الورد

وله في الخمر، وقد أنشد ذلك أبو منصور الثعالبي في اليتيمة:

صفراء تطرق في الزجاج فإن سرت ... في الجسم دبت مثل صل لادغ
خفيت على شرابها فكأنها ... يجدون ريا في إناء فارغ
عبث الزمان بجسمها فتسترت ... عن عينها في ثوب نور سابغ

وله:

كم ليلة بت أطويها وأنشرها ... ولا أرى في الذي أقضي بها حرجاً
في فتية نجب صاروا بمعترك ... يجرى النعيم على الصرعى بها خلجا
والجو ملتحف [.....][1] ... والنجم مكحولة ألحاظه دعجا
لفوا دجى ليلهم في نور كاسهم ... ونفسوا من خناق الزق فانبلجا

وله:

لعينيك في قلبي على عيون ... وبين ضلوعي للشجون فنون
لئن كان جسمي مخلقاً في يد الهوى ... فحبك غض في الفؤاد مصون
نصيبي من الدنيا هواك، وإنه ... عذابي ولكني عليه ضنين

وله:

يا ذا الذي لم يدع لي حبه رمقاً ... هذا محبك يشكو البث والأرقا
لو كنت تعلم ما شوقي إليك، إذاً ... أيقنت أن جميع الشوق لي خلقا
لم يبصر الحسن مجموعاً على أحد ... من ليس يبصر ذاك الخد والعنقا

وله في وفاة الناصر عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد وبيعة ابنه المستنصر بالله الحكم بن عَبْد الرَّحْمَن:

ألا إن أياماً هفت بإمامها ... لجائرة مشتطة باحتكامها
تأمل: فهل من طالع غير آفل ... بهن، وهل من قاعد لقيامها؟

---

(١) ما بين المعكوفتين بياض في الأصل.

وعاين: فهل من عائش برضاعها ... من الناس إلا ميت بفطامها؟
كأن نفوس الناس كانت بنفسه ... فلما توارى أيقنت بحمامها
فطار بها يأس الأسى وتقاصرت ... يد الصبر عن إعوالها والتدامها

ومنها له:

إمام تلقته الخلافة صبة ... إلى نسم محمولة عن إمامها
فصارت إليه في حدود تمامه ... وصار إليها في حدود تمامها
فلم ينتقل بالناس يوم انتقالها ... إليه سبيل عن محل قوامها
أتوه فأعطوه المواثق عن هوى ... تمكن في أبشارها وعظامها
وناولهم كفا يطول الهدى بها ... رضا الله في تقبيلها واستلامها
أناف على الدنيا بعين محيطة ... وقال: ادخلوا في أمنها وسلامها!

وله:

يطالعنا في كل يوم بغرة ... بنو الدين والدنيا معاً يأملونها
إذا ما تراءته العيون تواضعت ... لإجلاله عن أن تقل شؤونها
عليها من الرَّحْمَن نور جلالة ... يقصر بالألحاظ أن تستبينها

وله مما قاله بديهاً بين يدي الحكم، عندما بشر بولادة ابنه هشام:

اطلع البدر من حجابه ... واطرد السيف من قرابه
وجاءنا وارث المعالي ... ليثبت الملك في نصابه
بشرنا سيد البرايا ... بنعمة الله في كتابه
لو كنت أعطى البشير عمري ... لم أقض حقاً لما أتى به

وله في نكبته:

تأملت صرف الحادثات فلم أزل ... أراها توافي عند مقصدها الحرا
فللـه أيام مضت لسبيلها ... فإني لا أنسى لها أبداً ذكرا

تجافت بها عنا الحوادث برهة وأبدت لنا منها الطلاقة والبشرا
ليالي لم يدر الزمان مكاننا ولا نظرت منا حوادثه شزرا
وما هذه الأيام إلا سحائب على كل حال تمطر الخير والشرا

وله:

أجارى الزمان على حاله مجاراة نفسي لأنفاسها
إذا نفس صاعد شفها توارت به بين جلاسها
وإن عكفت نكبة للزمان عكفت بصدري على رأسها

وله يستعطف المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر، وكتب إليه بها من محبسه:

هبني أسأت، فأين العفو والكرم إذ قادني نحوك الإدغان والندم
يا خير من مدت الأيدي إليه، أما ترثي لشيخ نعاه عندك القلم؟
بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

هذه الأبيات متنازعة، ينسبها إلى المصحفي جماعة، وقد وجدتها منسوبة إلى أبي عمر بن دراج القسطلي، وذكر أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق في تاريخه أنها لكاتب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب. وكلاهما أساء الرد على من قالها وتمثل بها؛ أما إبراهيم فقال، لجهله وفظاظته وقلة رحمته: إن الملوك إذا ما استرحموا قتلوا وبعث إليه من قتله. وقرأت في كتاب الافتخار لأبي بكر عتيق بن خلف القيرواني، أن إبراهيم بن أحمد لما قرأ رسالة كاتبه إليه من محبسه، قال: يكتب إلى هبني أسأت وهو قد أساء؟ والله لو كنت إلى بقول الأول:

ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبينا

لعفوت عنه، ثم أمر به فجعل في تابوت وأحرق بالنار وهو حي! وأما ابن أبي عامر فأمر عَبْد الملك بن إدريس أن يجاوبه عن هذه الأبيات، فقال:

الآن يا جاهلاً زلت بك القدم تبغي التكرم لما فاتك الكرم؟
أغريت بي ملكاً لولا تثبته ما جاز لي عنده نطق ولا كلم

فا يأس من العيش إذ قد صرت في طبق ... إن الملوك إذا ما استنقموا نقموا

نفسي إذا سخطت ليست براضية ... ولو تشفع فيك العرب والعجم

ويقال: إن الأبيات لابن أبي عامر. وكلتا الفعلتين من أفعال الجبابرة الذين أطغتهم النعمة، ونزعت من قلوبهم الرحمة.

وللمصحفي لما يئس من المنصور وصفحه:

لا تأمنن من الزمان تقلباً ... إن الزمان بأهله يتقلب

ولقد أراني والليوث تخافني ... فأخافني من بعد ذاك الثعلب

حسب الكريم مذلة ونقيصة ... ألا يزال إلى لئيم يطلب

وإذا أتت أعجوبة فاصبر لها ... فالدهر يأتي بعدما هو أعجب

وله:

لي مدة لا بد أبلغها ... فإذا انقضت أيامها مت

لو قابلتني الأسد ضارية ... والموت لم يقدر لما خفت

فانظر إلى وكن على حذر ... فبمثل حالك أمس قد كنت

١٠١ - مُحَمَّد بن عَبْد الله بن أبي عامر الحاجب المنصور، أبو عامر[1].

هو مُحَمَّد بن عَبْد الله بن مُحَمَّد بن عَبْد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عَبْد الملك المعافري، أمير الأَنْدَلُس في دولة المؤيد بالله هِشَام بن الحكم المستنصر بالله، والغالب عليه. أصله من الجزيرة الخضراء، ولسلفه بها قدر ونباهة، وقدم قرطبة شاباً، فطلب بها العلم

---

(١) العبر في خبر من غبر ١/ ١٧٣، وقال الذهبي: المنصور الحاجب أبو عامر، مُحَمَّد بن عَبْد الله بن أبي عامر القحطاني المعافري الأندلسي، مدبّر دولة المؤيد بالله، هِشَام بن المستنصر بالله، الحكم بن الناصر عَبْد الرَّحْمَن الأموي، لأن المؤيد، بايعوه بعد أبيه، وله تسع سنين، وبقي صورة، وأبو عامر هو الكل، وكان حازماً بطلاً شجاعاً غزّاء عادلاً سائساً، افتتح فتوحات كثيرة وأثر آثاراً حيدة، وكان لا يمكّن المؤيد من الركوب، ولا من الاجتماع بأحد، إلا بجواريه.

والأدب وسمع الحديث. وكان أبوه - أبو حفص عَبْد الله - قد سمع الحديث أيضاً، وصحب أبا مُحَمَّد الباجي الراوية في الأخذ عن الشيوخ بقرطبة؛ وقد ذكرته في كتابي الموسوم بالتكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال.

وكانت للمنصور همة ترمي به المرامي، ويحدث نفسه بإدراك معالي الأمور، ويزيد في ذلك حتى كان يحدث من يختص به بما يقع له من ذلك، فتم له مراده. وكان أحد أعاجيب الدنيا في ترقيه والظفر بتمنيه: تصرف أول أمره في الوكالة لصبح أم هشام، والنظر في أموالها وضياعها، والجد ينهض به، والأقدار تساعده. إلى أن توفي الحكم وقلد هِشَام الخلافة وهو صغير.

ولما انتقض العدو على إثر ذلك، وخيف الاضطراب، ولم يكن عند المصحفي غناء ولا دفاع، ضمن مُحَمَّد بن أبي عامر لصبح أم هِشَام سكون الحال وزوال الخوف واستقرار الملك لابنها، على أن يمد بالأموال ويجعل إليه قود الجيوش، إلى ما كان بيده من الخطط السنية. وهو - بقوة نفسه وسعادة جده - يعد النصر ولا يمترى في الظهور، ويستعجل الأسباب المعينة على الفتح، حتى أسعف ولقى العدو فهزمه. ووالى غزو بلاد الروم عالي القدم، منصور العلم، لا يخفق له مسعى ولا يؤوب دون مغنم - كرة بعد أخرى - إلى أن صار صاحب التدبير، والمتغلب على جميع الأمور. فدانت له أقطار الأَنْدَلُس كلها، وأمنت به، ولم يضطرب عليه منها شئ أيام حياته، لحسن سياسته وعظم هيبته.

وكان ربما أنذر خاصته بما يكون وراءه من الفتن، حتى ليكدر عليهم مجالس أنسه بما يلقى من ذلك إليهم، فوقع الأمر على ما توقع، وجرى القدر بما قدر على ذلك. فما زال يبطش بأعدائه، ويسقط من فوقه بقهره واستيلائه، إلى أن صار الخليفة حينئذ - هِشَام بن الحكم - ليس له من الأمر غير الاسم خاصة، فما ظنك برجاله ومواليه الذين منهم كان يرهب وبهم كان يتمرس؟ هذا ونصرته على النصارى متوالية، وغزواته في كل صائفة متصلة، أزيد من خمسين - عدها ابن حيان في كتابه الموضوع في أخبار الدولة العامرية، وجعله لمن شاء خزله عن تاريخه الكبير أو ضمه إليه - حتى أذعن له ملوك الروم ورغبوا في مصاهرته. تناول ذلك كله بتأييد إلهي مدة طويلة، وأورثه بنيه وقتاً قصيراً.

فأما أبو مَرْوَان عَبْد الملك المظفر منهم، فقام بالدولة مقام أبيه، وأغنى في غزو العدو، إلا أن مدته لم تطل. وبلغت الأَنْدَلُس في أيامه نهاية الكمال، وكان على أهلها أسعد مولود. حكى ابن حيان عن زعيم المنجمين على عهد الحكم، أنه نظر في مولد عَبْد الملك هذا وهو طفل، فأشار من بعد سعادته إلى أمر كبير لم يدرك هو آخره، فعجب من شاهده من جودة إصابته، وذلك أنه قال: لم يولد قط بالأندلس مولود أسعد منه على أبيه، وعلى نفسه، وعلى حاشيته، نعم! وعلى أهل الأَنْدَلُس طراً، وعلى أرضها طراً، فضلا من ناسها. وإنها لا تزال كذلك حال حياته، وإذا هلك فما أراها إلا بالضد، فكان كذلك.

وأما أبو المطرف عَبْد الرَّحْمَن الناصر أخو عَبْد الملك، فإنه وَلِى الحجابة بعده، فلم يقم إلا يسيراً حتى قام عليه المهدي مُحَمَّد بن هِشَام بن عَبْد الجبارين بن عَبْد الرَّحْمَن الناصر، فقتل وصلب، وانبعثت الفتن على الأثر، فما خمدت نارها إلا في النادر، إلى وقتنا هذا وهو سنة أربعين وستمائة وقد استولى الروم فيه على الأَنْدَلُس بأسرها، مع الجزائر الشرقية المضافة إليها، بين صلح وعنوة.

وشؤم عَبْد الرَّحْمَن الناصر هو الذي جر افتراق الجماعة، وجرأ على خلعان الطاعة؛ وعلى رجله كان الفساد العام، لما استشرف إلى الخلافة، واستقل خطة الحجابة، ولم يرض إلا بالإمامة. فداخل هشاماً المضعوف، وطالبه بأن يجعله ولى عهده، ويلقى إليه بجميع أمره، فاستفتى في ذلك فقهاء قرطبة وعلماءها حينئذ، فسوغوا له ما طلب واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه - وكان ابن أبي عامر معافرياً فحطانياً - فقالوا: عسى أن يكون الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجد في ذلك السعى الخبيث أبو العباس بن ذكوان القاضي وأبو حفص بن برد الكاتب، حتى قال فيهما ابن أبي يزيد المصري:

إن ابن ذكوان وابن برد ... قد ناقضاً الدين بعد عمد

وعاندا الحق إذ أقاما ... حفيد شنجه ولى عهد

ولم يقم كذلك إلا أربعة أشهر - في ما ذكر الحُمَيْدي وغيره - واختل أمره وأسلمته الجيوش، فكان من خبره ما تقدم ذكره.

وكان مولد المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وفيها كانت الهزيمة العظيمة بالخندق على عَبْد الرَّحْمَن الناصر، فاخذ الله بثأر الإسلام على يدي المنصور، وكان وفاته سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

خرج غازياً، وقد وقع في مرضه الذي مات فيه، فاقتحم جليقية من تلقاء مدينة طليطلة، ومرضه يخف وقتاً ويثقل أوقاتاً، وقويت عليه العلة بأرض قشتيلة، فاتخذ له سرير من خشب يحمل على أعناق الرجال، قطع بذلك أربعة عشر يوماً، حتى وصل إلى مدينة سالم، فوجه ابنه عبد الملك ليخبر هشاماً بما ترك عليه أباه، وتوفي ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة. قيل: ودفن بمدينة سالم وقبره بها؛ وكان عليه مكتوباً:

آثاره تنبيك عن أخباره ... حتى كأنك بالعيان تراه

تالله لا يأتي الزمان بمثله ... أبداً، ولا يحمى الثغور سواه

وعلى ما كان عليه من الهيبة والرهبة، فقد كان له حلم واحتمال، مع محبة للعلم وإيثار للأدب وإكرام لمن ينتسب إليهما. ويحكى أن أبا مُحَمَّد الباجي الرواية دخل عليه وقال: أصلحك الله يا حاجب، وحفظك ووفقك وأحسن عونك، فرد عليه ابن أبي عامر أجمل رد، وبجله ووقره وأدنى مكانه حتى أقعده إلى جانبه، وقال له: كيف أنت اليوم وحالك؟ فقال له: بخير ما كنت به ثم قال له الباجي: أي والد كان لك رحمة الله عليه! كان والله - ما عملت - من أهل الخير والعافية، الصلاح والعفة، والحرص على الطلب والمعرفة. اختلف معي إلى مُحَمَّد بن عمر بن لبابة، وإلى أحمد بن خالد، وإلى مُحَمَّد بن فطيس اللبيري وغيرهم. وكان لي خير صديق وصاحب: أنتفع به، وينتفع بي، وأقابل معه كتبه وكتبي. ولم يكن فضولياً البتة. وأما أنت فلم تمتثله، وأدخلت يدك في الدنيا، فانغمست في لجها.

وطلبت الفضول، فعلمت أخباراً كثيرة، وأوبقت نفسك والله يا مغرور، وعز على انتشابك، فقال له ابن أبي عامر: يا فقيه؛ هكذا صاحب الدنيا: لا بد أن يخلط خيراً بشر، ويأتي

معروفاً ومنكراً؛ والله يتوب على من يشاء برحمته. وسأله الباجي إثر هذا رفع الغرامة عن ماله بإشبيلية، فأمر بإسقاطها، ووصله ببدرة دراهم كاملة، ومنديل كسوة تشاكله، فيها خلعة تامة.

ومن شعره يفخر:

رميت بنفسي هول كل عظيمة ... وخاطرت، والحر الكريم مخاطر

وما صاحبي إلا جنان مشيع ... وأسمر خطي وأبيض باتر

ومن شبيمي أني على كل طالب ... أجود بمال لا تقيه المعاذر

وإني لزجاء الجيوش إلى الوغى ... أسود تلاقيها أسود خوادر

لسدت بنفسي أهل كل سيادة ... وكاثرت حتى لم أجد من أكاثر

وما شدت بنياناً، ولكن زيادة ... على ما بنى عَبْد المليك وعامر

رفعنا المعالي بالعوالي حديثه ... وأورثناها في القديم معافر

قال ابن حيان: هذا لأنه مُحَمَّد بن عَبْد الله، ونسبه كما تقدم. قال: وعبد الملك جده هذا هو الداخل إلى الأَنْدَلُس مع طارق بن زياد، مولى موسى ابن نصير، في أول الداخلين من المغرب؛ وهو في قومه وسيط.

وقال الحميدي: قال لي أبو مُحَمَّد علي بن أحمد - يعني ابن حزم - الفقيه: كان المنصور أبو عامر مُحَمَّد بن أبي عامر معافري النسب من حمير، وأمه تميمية وهي بريهة بنت يحيى بن زكرياء التميمي المعروف بابن برطال، ولذلك قال فيه احمد بن دراج - هو أبو عمر القسطلي - من قصيدة له فيه:

تلاقت عليه من تميم ويعرب ... شموس تلالا في العلا وبدور

من الحميريين الذين أكفهم ... سحائب تهمي بالندى وبحور

وللمنصور - لما اشتد سلطانه وتوالى ظفره - وكتب به إلى صاحب مصر يتوعده:

منع العين أن تذوق المناما ... حبها أن ترى الصفا والمقاما

لي ديون بالشرق عند أناس ... قد أحلوا بالمشعرين الحراما

إن قـضوها تـالوا الأمـاني وإلا جعلـوا وزنهـا رقابـاً وهامـا
عـن قريـب تـرى خيـول هـشام يبلـغ النيـل خطوهـا والمـا

وله:

ألم تـرني بعـت الإقامـة بالـسرى ولـين الحـشايا بـالخيول الـضوامر؟.
تبـدلت بعـد الزعفـران وطيبـه صدا الدرع من مستحكمات المسامر
أروني فتـى يحمـى حمـاى ومـوقفي إذا اشـتجر الأقـران بـين العـساكر
أنا الحاجب المنصور من آل عـامر بـسيفي أقـد الهـام تحـت المغـافر
تـلاد أمـير المـؤمنين وعبـده وناصـحه المـشهود يـوم المفـاخر
فـلا تحـسبوا أني شـغلت بغيركم ولكـن عهـدت الله في قتـل كـافر

وأهدى المنصور إلى أبى مَرْوَان عَبْد الملك بن أحمد بن شـهيد الـوزير عقيلـة مـن عقائـل الروم يكنفها ثلاث جوار - وقد سأله ذلك عند صدره من بعض غزواته - وكتب إليه معهن يداعبه:

قـد بعثنـا بهـا كـشمس النهـار في ثـلاث مـن المهـا أبكـار
فاجتهـد واتئـد فإنـك شـيخ خفـى الليـل عـن بيـاض النهـار
صـانك الله عـن كلالـك فيهـا فمـن العـار كلـه المـسمار

فافتضهن أجمع في ليلته، وكتب إليه:

قـد فضـضنا ختـام ذاك الـسوار واصـطبغنا مـن النجيـع الجـارى
ونعمنـا في ظـل أنعـم ليـل ولهونـا بالـدر أو بالـدراري
وقـضي الـشيخ مـا قـضى بحـسام ذي مـضاء عـضب الظبـي بتـار
فاصـطنعه، فلـيس يجزيـك كفـراً واتخـذه سـيفاً عـلى الكفـار

قال ابن حيان: وكانت حجابة المنصور خمساً وعشرين سنة، وعمره خمساً - أو ستاً - وستين سنة.

١٠٢ - عَبْد الله بن عمرو بن أبي عامر، أبو حفص.

كان أبو عمرو - وهو الملقب عكلابة - صاحب المدينتين في أيام هِشَام المؤيد، بتقديم ابن عمه المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر. ثم ولي بلاد المغرب بعد ذلك فاشتد سلطانه هنالك، واستنزل حسن بن القاسم العلوى الإدريس وانفذه إلى الأَنْدَلُس. وكان صارماً مهيباً جباراً قاسياً، وقتله ابن عمه المنصور يتنقصه إياه وغضه منه وتسخيه عليه احتجانه الأموال دونه بعد أن استقدمه من المغرب، وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة.

ومن شعر أبي حفص هذا يذم المظفر عَبْد الملك، لما زوج حبيبة بنت ابن عمه عَبْد الله بن يحيى بن عبيد الله بن أبي عامر - وهي بنت أخته بريهة - من عَبْد الملك بن قند مولاهم:

عربي مزوج ... عبده بنت أخته

قبح الله فعل ذا ... ورماه بمقته

وقد قيل إنهما لعبد الملك بن يحيى، أخي عَبْد الله بن يحيى المذكور.

١٠٣ - زياد بن أفلح، مولى الناصر عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد[1].

كان من وزراء الدولة العامرية وكبار رجالها، وتوفي في أولها سنة ثمان وستين وثلاثمائة - ذكر ذلك ابن حيان في تاريخه الكبير، وذكر في الدولة العامرية أنه كان على المدينة، وأن جؤذراً الفتى الحكمى تحين ركوب زياد هذا إلى داره بطرف المدينة، حين توصل إلى هِشَام المؤيد، عازماً على الفتك به، عند مداخلته الجماعة الذين اجتمعوا على خلعة، بتدبير عَبْد الملك ابن القاضي منذر بن سعيد صاحب خطة الرد، فبطش بجؤذر وقبض عليه بمبادرة أحمد بن مُحَمَّد بن عروس إلى تلافي الأمر. قال: ووافى زياد على إثر ذلك فوبخه بن عروس، فأخذ في الاعتذار وتعاونا على النازلة، وما سلم زياد من التهمة. وحكى أن عَبْد الملك بن منذر في هذه القصة - لما أفتى عليه بآية الحرابة ورد إلى الخليفة الأمر فيما يختار له من العقوبة - أشار صاحب المدينة

---

(١) الأعلام ٣/ ٤٥، وقال الزركلي: زياد بن أفلح: من وزراء الدولة العامرية بالاندلس، ومن كبار رجالها. كان أبوه مولى للناصر عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد.

زياد بن أفلح هذا بأن يصلب، استبلاغاً في المثلة - يبغي بذلك التقرب إلى ابن أبي عامر ونفى التهمة عنه - فعمل برأيه، وذلك في سنة سبع وستين وثلاثمائة. وزياد هو القائل:

وأصبحت الدنيا بأويتك الرضا ... لذى وصل صافع لقفا الصد

لم لا، ودهري كله بك مونق؟ ... أرق إذا ما شئت من طرق برد

١٠٤ - فرحون بن عَبْد الله، ابن الوبلة.

وهو مُحَمَّد بن عَبْد الله بن عَبْد الواحد، ويشهر بفرحون. كان والياً على شنترين بغرب الأَنْدَلُس، في أيام الحكم المستنصر بالله أو ابنه هِشَام المؤيد بالله، وقد عليه أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي منتجعاً، فأمر بإنزاله، فقصر به متولي ذلك، فكتب إليه الرمادي:

أيها العارض والمهـ ... ـدي لمستسقيه وبلا

حين لا يهدى إذا ما استـ ... ـسقى العارض طلا

قائداً أفنت مغازيـ ... ـه العدا سبياً وقتلا

إن ضيفاً قاصداً قلـ ... ـت له: أهلاً وسهلا

قد توسعت له في ... ما يسر الضيف نزلا

ما له فرش على الأر ... ض سوى وجه مصلى

فأنا لولا اصطبار ... رد منه الوعر سهلا

لم تجد عيني لنوم ... بمبيت السوء كحلا

فوردت الأبيات على فرحون وهو خارج إلى الغزو، فحجل من ذلك، وأمر له بها طلب، وقرن ذلك بجارية، وكتب إليه معتذراً من التقصير:

أيها السيد أهلاً ... بالذي أهديت أهلا

ما يناويك منا ... إن وصلت القول وصلا

شاعراً ندباً نبيلاً ... محسناً جداً وهزلا

ما تولى الشعر إلا ... رد منه الوعر سهلا

شـــعره ســـح ووبـــل ... إذ يكـــون الـــشعر طـــلا
محكـــم غـــض بـــديع ... لا يكـــاد الـــدهر يـــبلى
فلـــه مـــا قلـــت أهـــلا ... ثـــم رحبـــاً ثـــم ســـهلا
أيهـــا الـــسيد مهـــلا ... بأخيـــك المحـــض، مهـــلا
إن شـــكواك إلينـــا ... ولـــدت في الـــنفس خـــبلا
ونفـــت نـــومي فلـــما ... تكتحـــل عينـــاي كحـــلا
مـــا عـــلى عمـــد ولكنـــ ... ـــا جهلنـــا الأمـــر جهـــلا
وظننـــا بالعكـــاز ... إنـــه أكـــرم بـــذلا
فابـــسطن عـــذري وإن لم ... أك للأعـــذار أهـــلا
يـــا أخـــي أنـــت ومـــولى ... وقليـــل لـــك مـــولى
قـــد بعثنـــا بفـــراش ... فـــاهجرن وجـــه المـــصلى
ووصـــلناه بغيـــدا ... ء كبـــدر يـــتجلى
فتفـــضل بقبـــول ... لا عـــدمت الـــدهر فـــضلا
ووراء ذلـــك منـــى ... ســـترى فـــضلا وفـــضلا

وله أيضاً:

يـــا رســـولي أبلـــغ إليهـــا شـــكاتي ... واســـتنلها ولـــو بقـــاء حيـــاتي
قـــل لهـــا: قـــد قـــضى هـــواك عليـــه ... فهـــو ميـــت، أو مـــؤذن بـــالممات
فالحظيـــة تـــرى إذا شـــئت ميتـــاً ... كـــان يحيـــا بأيـــسر اللحظـــات
واعجبـــي أن تكـــون لحظـــة عـــين ... منـــك تهـــدى الحيـــاة للأمـــوات

١٠٥ - علي بن وداعة بن عَبْد الودود السلَمي، أبو الحسن[1].

قال فيه الحميدي: أمير كان قريباً من الأربعمائة. وقال ابن بسام، وذكر صاعداً اللغوي: انتهت به الحال إلى أن أغرم، فاستغاث علي بن وداعة، أحد الفرسان الأبطال، وبنبهاء الدولة كان في ذلك الأوان. قال: ومن شعره فيه:

أبا حسن ربيعة من سليم ... سنان زان عالية الرماح
وإني عائذ بك من هناة ... تحش دعائمي تحت القداح
فكر على ابن عمك وانتشله ... فليس حمى ابن عمك بالمباح
فإن الجار عندك بين جنبي ... عقاب الدجن كاسرة الجناح
نظنك طالعاً يبني سليم ... عليها عند مفتضح الصباح
إذا ساورت قرنك في مكر ... جعلت له ذراعك كالوشاح

ومن شعر ابن أبي وداعة:

زار الحبيب فمرحباً بالزائر ... أهلاً بيدر فوق غصن ناضر
قبلت من فرحي تراب طريقه ... ومسحت أسفل نعله بمحاجري
وخشيت أن ينقد إخمص رجله ... من رقة فبسطت أسود ناظري

١٠٦ - يعلى بن أحمد بن يعلى[2].

كان أبوه من رؤساء الدولة الأموية وقوادها الجلة، وكان يعلى هذا في دولة أبي عامر مُحَمَّد بن أبي عامر. ومن شعره، وقد بعث إليه بورد مبكر:

بعثت من جنتي بورد ... غض له منظر بديع

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ١١٣، وقال الحميدي: علي بن وداعة بن عَبْد الودود السليمي أبو الحسن أمير كان قريباً من الأربع مائة، فارس من الأبطال، موصوف بالأدب البارع والشعر الرائع.

(٢) جذوة المقتبس ١/ ١٣٨، وقال الحميدي: يعلى بن أحمد بن يعلى القائد، شاعر كان في دولة المنصور أبي عامر مُحَمَّد بن أبي عامر.

قـــال أنـــاس رأوه عنـــدي: أعجلـــه عامنـــا المريـــع

قلـــت: أبـــو عـــامر المعـــلى أيامـــه كلهـــا ربيـــع

وتوفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. وله يرثي أبا علي البغدادي من أبيات:

أمـات العلـم مـوت أبـي عـلي منـار العلـم والفـضل الـرضى

سـأبكي بعـده سراً وجهـراً كـما يبكـي الـولى عـلى الـولى

ولـو لم أبكـه حزنـاً ووجـداً إذاً مـا كنـت بالرجـل الـوفي

إذا قلـب خـلا مـن حـب ميـت فقلبـي لـيس عنـه بـالخلي

وله:

إني هجـرت الغانيـات جميعـاً ونزعـت عـن كلفـي بهـن نزوعـاً

ورفـضت لـذاتي فـصرت لناصـح بعـد الإبايـة سـامعاً ومطيعـاً

ونهى النهي قلبي فأقتصر وارعـوى واعتـاض بعـد الكبريـاء خـشوعاً

ورأيت رشدي واضحاً بعد العمـى فنكصت عن غـي الـضلال رجوعـاً

يـا حـسرة سـاعاتها مـا تنقـضي كيـف النجـاة وقـد أسـأت صـنيعاً؟

ومن ملوك إفريقية ورجالهم في هذه المائة:

١٠٧ - مُحَمَّد القائم أبو القاسم بن المهدي عبيد الله[1].

قد تقدم الاختلاف في نسب عبيد الله إلى الحسين بن علي، رضوان الله عليه، فمن مسلم ما ادعاه ومن دافع له فيما حكاه، وهو الأكثر وهو الأصح والأظهر.

واختلف أيضاً في اسم القائم هذا، فقيل عَبْد الرَّحْمَن وقيل حسن وقيل مُحَمَّد، وبهذا الاسم كان يذكر في الأمداح، قال علي بن مُحَمَّد الإيادي التونسي:

أعجب بأسطول الإمام مُحَمَّد ... وبحسنه وزمانه المستغرب

ليست به الأمواج أحسن منظر ... يبدو لعين الناظر المتعجب

وتقدم أيضاً ذكر وروده المغرب مع أبيه وما قيل في تبنيه وهو يومئذ حدث. ثم بويع له بالخلافة بعد عبيد الله للنصف من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وأخفى القائم موته سنة.

وكان في حياة أبيه - على الخلاف فيه - أظهر منه في خلافته ومصير الأمر إليه: غزا قبل ذلك الإسكندرية في عسكر عظيم فملكها مع الفيوم وصار في يديه أكثر خراج مصر وضيق على أهلها وحاربه مؤنس الخادم بها. وكان خروجه من رقاده في سنة إحدى وثلاثمائة، ولست بقين من جمادى الأولى سنة ثلاثمائة وصله جيش حباسة بن يوسف صاحب المهدي في مائتي مركب فنزل فسطاط مصر الإسكندرية، وقوي على مؤنس بالرجال والأموال، وشخص لحربه فكانت بينهما وقعة قتل فيها خلق من الفريقين، ثم انصرف حباسة ومن معه عن الإسكندرية راجعين إلى الغرب بعد هزيمة وقعت على المغاربة.

ثم غزا في حياة أبيه ثانية، وعند وصوله إلى الإسكندرية - وذلك في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة - خرج عامل المقتدر عنها ودخل الجيزة من أرض مصر في خلق عظيم.

---

(١) الأعلام ٥/ ١٧٠.

وكتب القائم إلى مكة وإلى من حولها يدعوهم إلى طاعته ويعدهم الجميل، وقال: نحن أهل البيت الرسول، ومن أحق بهذا الأمر منا؟ وضمن الكتاب أبياتاً يقول فيها:

أيا أهل شرق الله زالت حلومكم ... أم اصدعت من قلة الفهم والأدب؟
فويحاً لكم خالفتم الحق والهدى ... ومن حاد عن أم الهداية لم يصب
فيا معرضاً عني وليس بمنصفي ... وقد ظهر الحق المبين لمن رغب
ألم ترني بعثت الرفاهة بالسري ... وقمت بأمر الله حقاً وقد وجب

فلما وصل إليهم الكتاب بعثوا به إلى المفتدر، فأرسل إلى أبي بكر الصولي بعد قراءته الرسالة والشعر، فدفع إليه الشعر وقال له: جاوبه عنه، فكتب إليه:

عجبت وما يخلو الزمان من العجب ... لقول امرئ قد جاء بالمين والكذب
وجاء بملحون من الشعر ناقص ... فسحقاً له من مدع أفضل النسب
فمن أنت يا مهدي السفاهة والخنا ... فقد قمت بالدين الخبيث وبالريب

فلم يجيبوه. وهي قصيدة طويلة، منها في ذكر الخلفاء من بني العباس:

ومعتمد من بعده وموفق ... يردد من إرث الخلافة ما ذهب
نوازلهم في كل فضل وسؤدد ... وإن لم يكن في العد منهم لمن حسب

أنشدهما أبو إسحاق إبراهيم بن تميم القيرواني الحصري في كتاب زهر الآداب وثمر الألباب من تأليفه.

وقد أجرى ذكر الموفق أبي أحمد بن المتوكل ومدح ابن المعتز له، قال: ويلقب بالناصر وبالموفق، كانت حاله قد ترقت في أيام المعتمد إلى غاية لم يبلغها الخليفة. وقد ذكره الصولي في قصيدته لصاحب المغرب، وقد اقتص خلفاء بني العباس من أولهم، وذكر البيتين.

والموفق هذا هو الذي قتل صاحب الزنج القائم بالبصرة، بعد مواقعات كثيرة ومحاربات شديدة، وفي ذلك يقول ابن الرومي في قصيدته الطويلة الجليلة:

أبا أحمد أبليت أمة أحمد ... بلاء سيرضاه ابن عمك أحمد

حصرت عميد الزنج حتى تخاذلت قـــواه واودى زاده المتـــزود
فظـل ولم تقتلـه يلفـظ نفـسه وظـل ولم تـأسره وهـو مقيـد
فـما رمتـه حتـى استقل برأسـه مكـان قنـاة الظهـر أسـمر أجـرد

وكان صاحب الزنج يدعى الانتماء إلى بيت على رضي الله عنه، ومنحاه نحا العبيديون بعده، وينال من بنى العباس نيل هؤلاء منهم، وفي ذلك يقول:

لهـف نفسي عـلى قـصور ببغـدا د وما قد قـد حوتـه مـن كـل عـاص
وخمـور هنـاك تـشرب جهـراً ورجـال عـلى العـاصي حـراص
لـست لابـن الفـواطم الغـر إن لم أجـل الخيـل بـين تلـك العـراص

وقرأت في كتاب أبي الحسن على بن بحر بن أبي السرور الروحي الإسكندري أن المهدي عبيد الله سير ولى عهده أبا القاسم ابنه إلى مصر دفعتين: الأولى في سنة إحدى وثلاثمائة، قال: وعاد في سنة اثنتين وثلاثمائة، والثانية سنة ست وثلاثمائة، وحكى انه ملك الإسكندرية فيهما.

وقال غيره: في أيام عبيد الله بطل الحج وأخذ الحجر السود، أخذه القرامطة وأقام عندهم اثنتين وعشرين سنة إلا شهراً، وقتل المقتدر ببغداد وأظهر عبيد الله عندما بلغه الخبر أن دعاته قتلوه بأمره، وجلس لذلك مجلساً.

وحكى الصولى أن الذي قتله رجل من أهل المغرب بربرى يقال له عليـون الـصنهاجي، رماه بحربة -- وهو على فرسه يصلح بين الجند - في ظهره فخرجت من صدره ووقع ميتاً.

وكان القائم في حياة عبيد الله القائم بالأمور والدولة، فلما أفضت الخلافة إليـه ظهـر أبـو اليزيد الخارجي مخلد بن كيداد عليه فعجز عن مقاومته ولم يستقل بمدافعته، فتغلب على البلاد في جموع البربر الملتفة عليه إلى أن حصره في المهدية.

وأبو يزيد من بني يفرن، ويقال إن الذي قتل في فتنته أربعمائة ألف. والإنذار به والتحدث بخروجه بنى المهدية عبيد الله وجعلها دار ملكه وقرار سلطانه. وقال بعد تحصينها وعند انتقاله إليها: اليوم أمنت على الفواطم، يريد حرمه.

وكان قيام أبي يزيد في آخر خلافة القائم سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي القائم يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

وكان القائم ولى ابنه إسماعيل عهده وفوض إليه أمره، وذلك في سنة أربع وثلاثين، وأدخل عليه جماعة من وجوه كتامة ورؤسائهم فقال: هذا مولاكم وولى عهدي والخليفة من بعدي، وهو صاحب هذا الفاسق وقاتله، يعني أبا يزيد.

وقال ابن حيان في تاريخه المقتبس من أبناء أهل الأَنْدَلُس: وفي العشر الأواخر من ذي الحجة منها - يعني سنة أربع وثلاثمائة - قدم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن كليب من القيروان فحكى أن أبا القاسم بن عبيد الله الشيعي صاحب المهدية هلك فيها وهو محصور من قبل أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرني النكارى المعروف بصاحب الحمار القائم عليه في جموع البرابرة، وأن شيعته قدمت إسماعيل ولده وأنه فارس شجاع أبى النفس، أقدم على أبي يزيد وجموعه ولاقاه بمدينة سوسة فانهزم أبو يزيد قدامه إلى القيروان ثم إلى سبيبه.

زاد غير ابن حيان: وما زال يتبعه إلى أن ظفر به حياً وقيذاً بالجراح فمات منها وهو في أسره، فأمر به فسلخ وطيف به.

وإسماعيل المنصور هذا أبو الطاهر، وابنه أبو تميم معد بن إسماعيل المعز لدين الله، كانا خطيبين مفوهين، ولم أقف لهما على شعر أكتبه في هذا المجموع، وسيأتي ذكرها بعد إن شاء الله. وكانت خلافة القائم اثنتي عشرة سنة وسبعة أشهر، وتوفي وهو ابن خمس وخمسين سنة ومولده بسلمية.

١٠٨ - تميم بن معد بن إسماعيل بن مُحَمَّد بن عبيد الله، أبو علي.

شاعر أهل بيت العبيد بين غير منازع ولا مدافع، وكان فيهم كابن المعتز في بني العباس غزارة علم ومعانة أدب وحسن تشبيه وإبداع تخييل، وكان يقتفي آثاره، ويصوغ على مناحيه في شعره أشعاره. ولاه أبوه المعز لدين الله معد بن إسماعيل المنصور عهده، وبه كان يكنى، فخلع برأي جوهر الصقلي لأنه كان عقيماً لا يولد له، وولى أخوه عَبْد الله فتوفى في حياة أبيه، ثم

ولي العهد أخوه أبو المنصور نزار العزيز بالله، وانتقلا من إفريقية إلى مصر بانتقال أبيهما معد بن إسماعيل في آخر سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

وشعر تميم مدون، ومحاسنه كثيرة، وتصرفاته بديعة. ووقع منه في كتابي الحصري زهر الآداب وثمر الألباب ونور الطرف ونور الظرف كل نادر غريب.

وكان تميم لما استقر بمصر وتوفي أبوه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة وولي أخوه نزار يمدحه ويداريه طلباً للسلامة منه، لأنه لم يكن يأمن عاديته بسبب انخلاعه عن العهد.

وكذلك كان ابن المعتز يداري المعتضد والمكتفي ابنه ويمدحهما ويمدح عمه الموفق رغبة في التخلص منهم، لأنه كان أهلا للخلافة فعصمه الله بذلك من هؤلاء، وقدر أن طاح على يدي المقتدر بعد أن بويع له من الليل التي قبض عليه في صبيحتها، ولقب بالراضي بالله - وقيل بالمنتصف بالله - وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين.

ومن شعر تميم في أخيه نزار:

يا ابن الوصي المرتضى، يا ابن الإما ... م المجتبى، يا ابن النبي المرسل

ما بال مالك ليس يرميه الندى ... إلا يوافق منه موضع مقتل؟

أنت المحصل في زمان أصبحت ... أملاكه كالقول غير محصل

لو لم تكن في جحفل لغدوت من ... عزمات رأيك وحدها في جحفل

عجباً لأبصار تراك ولو درت ... مقدار فضلك كن عنك بمعزل

وهي قصيدة طويلة. ومنها في وصف فرس له يدعى السرور:

نعم المعين على الوغى في مأزق ... لبست به الأبطال نقع القسطل

فرس أشم المنكبين مقابل ... يرمي الجنادل من يديه بجندل

تنبيك عن أنسابه أعضاؤه ... حسناً، وعن أخراه عتق الأول

وكـــأنما مبـــيض أعـــلى وجهـــه ... وجبينـــه ضـــوء الـــصباح المقبـــل
وكـــأن دفـــة سرجـــه ولجامـــه ... شـــدا عـــلى ظهـــر الـــسماك الأعـــزل
ويـــسابق الـــبرق المثـــار يخطـــوه ... ويزيـــد فيـــه عـــلى الـــصبا والـــشمأل
صـــافي الـــصهيل كـــأن في ترجيعـــه ... غـــرد يغنـــي في الثقيـــل الأول
ذو قـــونس مالـــت نـــواحي عرفـــه ... مستـــشرف الأعـــلى رحيـــب الأســـفل
وكـــأنما فلـــق الـــصباح بوجهـــه ... مـــاء بـــدا مترققـــاً في جـــدول

وله يمدح أخاه:

ألـــسنا بنـــى بنـــت النبـــي الـــذي بـــه ... تخلـــص مـــن زيـــغ العمـــى الـــثقلان
ألـــيس أبونـــا خدنـــه ووصـــيه ... وفارســـه في كـــل يـــوم طعـــان
فكفوا بنـــى العبـــاس عنـــا جمـــاحكم ... فقـــد طالمـــا خنـــتم بكـــل مكـــان
متـــى لم تكونـــوا دوننـــا وتـــسابقوا ... بـــصالحنا في كـــل يـــوم رهـــان
بمن نـــصر الإســـلام في يـــوم خيـــبر ... ويـــوم حنـــين والقنـــا متـــدان؟
ألـــيس عـــلى كـــان كاشـــف غمهـــا ... ومـــا كـــان للعبـــاس ثـــم يـــدان
ومن فـــرج الغـــماء عـــن وجـــه أحمـــد ... بمكـــة لمـــا ريـــع كـــل جنـــان
فبـــات عـــلى ظهـــر الفـــراش بديلـــه ... يقيـــه ردى الأعـــداء غـــير جبـــان
وكـــم مثلهـــا مـــن مفخـــر وفـــضيلة ... حواهـــا عـــلى وهـــو لـــيس بـــوان
وإن قلـــتم إنـــا جميعـــا لهاشـــم ... فـــما تـــستوى في الجثـــة العـــضدان
فلم تدفعون الحق والحـق واضـح؟ ... دنـــا مـــنكم مـــا كـــان لـــيس بـــدان
أميـــة كانـــت قـــبلكم في اغتـــصابها ... أحـــق، فبـــادت وارتـــدت بهـــوان
أخـــذتم بغـــضب إرثنـــا وصـــعدتم ... منـــابر مـــا كانـــت لكـــم بأمـــاني
وجئـــتم بأســـماء يـــروق اســـتماعها ... وألفـــاظ حـــسن مـــا لهـــن معـــان:
رشيد ولم يرشد، وهـاد ومـا هـدى ... لحـــق، ومـــأمون بغـــير أمـــان

ومعتصم لم يعتصم بإلهه ... ومقتدر لم يقتدر ببيان
ومعتضد بالإفك خاب اعتضاده ... ومنتصر بالبغي غير معان
أصيخوا فقد قام العزيز الذي له ... تذل خطوب الدهر بعد حران
كأن رواق العز من نور وجهه ... سنماء بدا في أفقها القمران
أغر كنصل السيف يمضي اعتزامه ... بكل رقيق الشفرتين يمان
كأن المنايا والعطايا نوافل ... يجود بها من منصل وبنان
حويت أبا المنصور كل فضيلة ... وأمسكتها ون الورى بعنان
كأنك في سيماك إذ قمت خاطباً ... وأعيننا طراً إليك روان
شبيه نبي الله جدك أحمد ... ويشبه فرع البانة الغصنان
وكم علوى فاطمي مفضل ... ولكنهم ما فيهم لك ثان
ومن يدعى مهم مكانك في العلا ... فقد جاء بالبهتان والهذيان
إذا ما كفاك الله ما أنت متق ... شفاني مما اتقى وكفاني
وإني لسهم من سهامك ماطر ... على كل من عاداك سم سنان
أراك بعين النصح في كل حالة ... على كل ما فيه اعتقدت تراني
ومن ذا الذي يرعاك رعياً توده ... على كل غيث أو بكل عيان
أخ وولى مشفق وابن والد ... شفيق ومداح بكل لسان

وكان العزيز يوالي إكرامه ويجزل عطاءه ويعامله بما قتله علماً من صدق وده إخلاصه في مدحه.

ويحكى أنه تنزه إلى بركة الحبش فلما قرب من قصور أخيه تميم سأل عنه، فأسرع إليه من عرفه، فخرج راحلاً حافياً حتى لقيه، فسلم عليه بالخلافة، وقال: يا أمير المؤمنين؛ قد وجبت على عبدك الضيافة، قال: نعم، ودخل إلى بستانه وقد أمر بجنيبة من الجنائب التي كانت بين يديه، وأقسم على تميم أن يركبها ويسايره، فلما توسط البستان نظر إلى ثمر يلوح الذهب عليه،

فتعجب منه واستطرفه، ودنا من شجرة فأخذ منها ليمونة واحدة، فقرأها وإذا عليها مكتوب بالذهب:

أنا الليمون قد غذيت عروقي ... ببرد الماء في حرز حريز

حسنت فليس يحسن أن يحيى ... بأمثالي سوى الملك العزيز

فجعلها في كمه وقال: هذه ضيافتي عندك. وانصرف إلى قصره فبعث إلى أبي جَعْفَر بن مهذب صاحب بيت المال، فقال له: ما عندك من الدنانير ضرب هذه السنة؟ وكان ذلك في أولها فقال له: مائة ألف وستون ألفاً، فأمره بحملها من ساعته إلى الأمير تميم مع راشد العزيزي، وقال له: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: استعن بهذا على مؤونتك. فقبل الأرض وبعث إليه من الغد قصيدة حسنة يمدحه فيها ويشكره.

وكانت أيام العزيز بمصر أعياداً، رفاهية ودعة وتمهداً. فكان تميم إذا جاء الليل أمر مائتي فارس من عبيده بحراسة الناس الخارجين في أيام النيروز والميلاد والمهرجان وعيد الشعانين وغير ذلك من أيام اللهو التي كانوا ينحون فيها على أموالهم رغبة ويخرجون إلى بكرة الحبش متنزهين، فيضربون عليها المضارب الجليلة والسرادقات والقباب، ومنهم من يخرج بالقيان والمسمعات والمخدرات، وخيل تميم تحرسهم في كل ليلة إلى أن ينصرفوا ويركب تميم في عشاري تتبعه أربعة زوارق وأكثر، مملوءة فاكهة وطعاماً ومشروباً، فإن كانت الليالي مقمرة وإلا كان معه من الشمع ما يعود به الليل نهاراً، فإذا مر على طائفة واستحسن غنائهم صوتاً أمرهم بإعادته، وسألهم عما ينقصهم فيعطيهم، وربما رغبوا إليه أن يسمعهم من غنائه، فيقف عليهم ويأمر م يغني لهم، وينتقل عنهم إلى غيرهم.فيفعل هذا عامة ليله، ثم ينصرف إلى قصوره وبساتينه على هذه البركة، فلا يزال على هذه الحال حتى تنقضي هذه الأيام ويفترق الناس.

ولتميم يفخر:

لا تبطر السراء لي خلقاً ولا ... أغدو على ضرائها متخشعاً

لي في المشارق والمغارب جولة ... يغدو بها قلب الزمان معدعاً

وله:

لـيهن المعـالي أنني أنـا ربهـا ... وأني إذا مارمـت صـعباً تيـسرا
غـذتني مـذ كنـت النبـوة والهـدى ... فحـسبي أن كانـا همـا لي عنـصرا

وله:

وإني لألقـى كـل خطـب بمهجـة ... يهـون عليهـا منـه مـا يتـصعب
وأستصحب الأهوال في كل موطن ... ويمـزج لي السم الزعـاف فـأشرب
فـما الحـر إلا مـن تـدرع حزمـه ... ولم يـسك إلا بالقنـا يتنكـب
خليلي ما في أكـؤس الـراح راحتي ... ولا في المثـاني لـذتي حـين تـضرب
ولكنتـي للمـدح أرتـاح والعـلا ... وللجـود والإعطـاء أصبو وأطـرب
ومـن بـين جنبيـه كنفـسي وهمتـي ... يرجى لـه فـوق الكواكـب مركب

وله في التشبيه:

علـلاني بهـا فقـد أقبـل الليـ ... ـل كلون الصدود من بعد وصل
وانجلى الغيم بعد ما أضحك الرو ... ض بكـاء الـسحاب فيـه بوبـل
عـن هـلال كـصولجان نـضار ... في سـماء كأنهـا جـام ذبـل

وله:

رب صـفراء عللتنـي بـصفرا ... ء، وجـح الظـلام مرخـى الإزار
وكـأن الـدجى غـدائر شـعر ... وكـأن النجـوم فيهـا مـداري

وله:

وانجـلى الغيم عـن هـلال تبـدى ... في يـد الأفـق مثـل نـصف سـوار

وله:

كأن السحاب الغر أصبحن أكؤساً ... لنـاء، وكـأن الـراح فيهـا سـنا البرق
إلى أن رأيـت الـنجم وهـو مغـرب ... وأقبـل رايـات الـصباح مـن الـشرق

كأن بسواد الليل والصبح طالع ... بقايا مجال الكحل في الأعين الزرق

وله:

ما ترى الليل كيف رق دجاه ... وبدا طيلسانه يتجاب

وكأن الصباح في الأفق باز ... والدجى بين مخليه غراب

وله:

ألا سقنيها قهوة ذهبية ... فقد ألبس الآفاق جمح الدجى دعج

كأن الثريا والظلام يحفها ... فصوص لجين قد أحاط بها سبج

كأن نجوم الليل تحت سواده ... إذا جن زنجي تيمم عن فلج

وله:

كأن كؤوس الشرب هو دوائر ... قطائع ماء جامد تحمل اللهب

فبتنا نسقي الشمس والليل راكد ... ونقرب من بدر السماء وما قرب

وقد حجب الغيم الهلال كأنه ... ستارة شرب خلفها وجه من نحب

كأن الثريا تحت حلكة ليلها ... مداهن بلور على الأفق تضطرب

وله:

خذها إليك ودع لومي مشعشعة ... من كف أحوى أسيل الخد مذهبه

وانظر إلى الليل كالزنجي منهزماً ... والصبح في إثره يعدو بأشهبه

والبدر منتصف ما بين أنجمه ... كأنه ملك في صدر موكبه

وله:

أوفى فأشرقت البلاد لنوره ... حسناً وأرسل بالشفاء رسولا

ما كنت أحسب أن بدراً قبلها ... نقل الخطى كرماً وعاد عليلاً

يا علة زار الحبيب من أجلها ... لله أنت، لقد شفيت غليلا

وله، وهو من مختار شعره في النسيب:

أأعذل قلبي؟ وهو لي غير عاذل ... وأعصى غرامي وهو ما بين أضلعي

ومن لي بصبر أستزيل به الجوى ... ولا جلدي طوعى ولا كبدي معي

نأوا والأسى عني بهم غير منتأ ... وودعتهم والقلب غير مودع

وله:

يا معطشي من وصال كنت وارده ... هل فيك لي رحمة إن صحت: واعطشى!؟

أنت الحياة التي تحيا النفوس بها ... حقاً فإن فقدتك النفس لم تعش

توفي تميم في خلافة أخيه العزيز سنة أربع وسبعين وتوفي العزيز سنة ست وثمانين وثلاثمائة.

١٠٩ - خليل بن إسحاق بن ورد، أبو العباس.

مولده بطرابلس وهو من أبناء جندها، وكان في أول أمره يطلب العلم والأدب ويصحب الصوفية ويبيت في المساجد، إلى أن خالف أهل طرابلس بلده سنة تسع وتسعين ومائتين، فكان هو المتولي لعذابهم وأخذ أموالهم، وذلك في أول دولة عبيد الله المهدي. واتبع القائم أبا القاسم مُحَمَّد بن عبيد الله المهدي. في مسيره إلى محاربة أهل مصر، وهو إذ ذاك ولي عهد فلحقه بالإسكندرية، وكان المتولي لجباية الأموال والنظر فيها، وانصرف إلى المهدية فقدم على خيل إفريقية، وكان أمر جندها إليه مع النظر في البحر.

وخرج إلى صقلية والياً على أهلها فأهلكهم وجوعاً وقتلا، وهرب كثير منهم إلى بلد الروم. وكان يقول بعد وصوله إلى إفريقية مفتخراً: المكثر يقول إني قتلت وأهلكت ألف ألف، والمقلل يقول ستمائة ألف. وكان خروجه إليها في أول دولة القائم سنة خمس وعشرين وثلاثمائة.

وقد كان المهدي عبيد الله سخط عليه في آخر دولته فخاف، ولما توفق أمنه القائم واستعمله، فجار أشد الجور، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور!.

ثم إن القائم صرفه عن صقيلة واستقدمه منها، وقدمه لحرب أبي يزيد الخارجي، وأخرجه إلى مدينة القيروان في ألف فارس من وجوه العبيد، فأساء معاملتهم حتى أضغنهم، ودبروا عليه. وقصده أبو زيد فدخل القيروان وحصره بدراه إلى أن أخذه وأصحابه فاعتقلهم ثم قتلهم جميعاً بباب أبي الربيع وأمر بهم فصلبوا.

ومن شعره يمدح المهدي ويناقض مَرْوَان بن أبي حفصة:

قف بالمنازل واسألن أطلالها ... ماذا يضرك إن أردت سؤالها؟

هل أنت أول من بكى في دمنة ... درست وغيرت الحوادث حالها؟

يا دار زينب هل تردين البكا ... عن مقلة سفحت عليك سجالها؟

بدلت بالإنس الخرائد كالدمى ... وحش الفلاة طباءها ورئالها

ولقد عهدت لآل زينب حبرة ... فيها، ودنيا أقبلت إقبالها

بيضاء ناعمة يجول وشاحها ... وتهز دقة خصرها أكفالها

ولها قوام كالقضيب وفوقه ... جعد يصافح كفه خلخالها

وكأن في فيها بعيد رقادها ... عسلاً أصاب من السماء زلالها

ولقد عصيت عواذلي في حبها ... والنفس تعصى في الهوى عذلها

ومنها:

صلى الإله على النبي مُحَمَّد ... وعلى الإمام وزاده أمثالها

إن الإمام أقام سنة جده ... للمسلمين كما جذوت نعالها

أحيا شرائعها وقوم كتبها ... وفروضها وحرامها وحلالها

وهدى به الله البرية بعدما ... طلب الغواة الظالمون ضلالها

إن الخلافة يا ابن بنت مُحَمَّد ... حطت إليك عن النبي رحالها

وله وقد افتضد القائم:

قل للطبيب الذي أوصى ليفصده رفقاً ولا زلت بالإسعاد ترتفق
كيف استطعت ترى بالله طلعته ومن سنا نوره ما يشرق الأفق؟
أم كيف تخرج من كف تقبلها دماً ومنها بحار الجود تنبدفق؟
إني لأعجب م كف مسست بها خير الورى كيف لم ينبت بها الورق

وله عند توديع القائم في خروجه إلى القيروان وكتب بها إليه:

وما ودعت خير الناس طرا ولا فارقته عن طيب نفس
وكيف تطيب نفسي عن حياتي أفارقها، وعن قمري وشمسي؟
ولكني طلبت رضاه جهدي وعفو الله يوم حلول رمسي
فعاش مملكاً ما لاح شمس على الثقلين من جن وإنس

وبعد وروده القيروان كان من قتله وصلبه ما كان، وما أفظع مصرع من احتقب الإثم والعدوان!

١١٠ - جَعْفَر بن فلاح الكتامي، أبو الفضل[1].

---

(١) الوافي بالوفيات ٤/ ٧٢، وقال الصفدي: جعفر بن فلاح الأمير. والي دمشق من قبل المعز صاحب مصر. وهو أول أمير وليها لبني عبيد، وكان قد خرج المذكور مع القائد جوهر وفتح معه مصر ثم سار فغلب على الرملة سنة ثمان وخمسين وبعد أيام غلب على دمشق بعد أن قاتل أهلها أياماً، وكان بها مريضاً، على نهر يزيد فسار لحربه الحسن بن أحمد القرمطي وقتله سنة ستين وثلاثمائة وقتل من خواص الأمير جعفر جماعة وكان رئيساً جليل القدر ممدحاً.

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان ١/ ٣٦١: كان أحد قواد المعز أبي تميم معد بن المنصور العبيدي صاحب إفريقية، وجهزه مع القائد جوهر لما توجه لفتح الديار المصرية، فلما أخذ مصر بعثه جوهر إلى الشام، فغلب على الرملة في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثم غلب على دمشق فملكها في المحرم سنة تسع وخمسين بعد أن قاتل أهلها، ثم أقام بها إلى سنة ستين ونزل إلى الدكة فوق نهر يزيد بظاهر دمشق، فقصده الحسن بن احمد القرمطي المعروف بالأعصم، فخرج إليه جعفر المذكور وهو عليل فظفر به القرمطي فقتله

هذا من رجال الدولة العبيدية، ولم يقع إلى من خبرة ما أذكره ما هنا سوى امتداح أبي القاسم بن هانيء إياه، وحسبه بذلك نباهة وكفاه، وذكر ابنه إبراهيم معه في مدحه. وفي بعض النسخ التي وقفت عليها من شعر ابن هانيء أن الممدوح إبراهيم بن جَعْفَر لا أبوه جَعْفَر، ووجدت منسوباً إليه:

ويوم كأن الغيم تحت سمائه ... حكى مقلتي سحاً ولم يحكني ضنا

كأن الغوادي بالمثاني نضحنه ... وألبسته ثوباً من الخز أدكنا

١١١- يحيى بن علي بن حمدون الجذامي بن الأَنْدَلُس.

وله ولأبيه ولأخيه جَعْفَر بن علي رئاسة معروفة ونباهة في أيام العبيدية مذكورة، وعلى بن حمدون هو الذي بنى المسيلة من بلاد الزاب الأكبر وسكنها ابنه جَعْفَر فعظم شأنه.

ولأبي القاسم مُحَمَّد بن هانيء الأَنْدَلُسي فيه وفي أخيه يحيى مدائح شهيرة، وكان لما خرج من الأَنْدَلُس إلى بني على هؤلاء وقع، وإليهم قصد، إلى أن أعلقوه بالمعز معد بن إسماعيل فاستفرغ فيه شعره وقصر عليه مدحه.

=

وقتل من أصحابه خلقا كثيرا، وذلك في يوم الخميس لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلثمائة، رحمه الله تعالى. وقال بعضهم: قرأت على باب قصر القائد جعفر بن فلاح المذكور بعد قتله مكتوبا:

يا منزلاً عبث الزمان بأهله ... فأبادهم بتفرق لا يجمع

أين الذين عهدتهم بكمرة ... كان الزمان بهم يضر وينفع

وكان جعفر المذكور رئيساً جليل القدر ممدوحاً، وفيه يقول أبو القاسم مُحَمَّد بن هانيء الأندلسي الشاعر المشهور:

كانت مساءلة الركبان تخبرني ... عن جعفر بن فلاح أطيب الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت ... أذني بأحسن مما قد رأى بصري

والناس يروون هذين البيتين لأبي تمام في القاضي أحمد بن أبي دواد، وهو غلط، لأن البيتين ليسا لأبي تمام، وهم يروونهما عن أحمد بن دواد وهو ليس بابن دواد، بل ابن أبي دواد، ولو قال ذلك لما استقام الوزن.

وهرب جَعْفَر إلى الأَنْدَلُس بعد مقتل زيري بن مناد الصنهاجي، ولحق به أخوه يحيى فأقام مكرمين عند الحكم المستنصر بالله إلى أن سعى بهما إليه، فسخط عليهما وأمر بإزعاجهما ومن معهما رجالة من منازلهم إلى المطبق بمدينة الزهراء، والنداء عليهم بما كفروا من النعمة. وظهر من شهامة يحيى وتجلده في هذه المحنة ما شهر، فكان ينادي على نفسه معارضاً للمنادى: لا، بل جزاء من آثر بني مَرْوَان على ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونميت في الوقت إلى معد بن إسماعيل وهو في القيروان فأرضته وعطفته على آل علي بن الأَنْدَلُس.

ثم إن الحكم عفا عنهما بسعى عَبْد الملك بن القاضي منذر بن سعيد البلوطي صاحب خطة الرد وتلطفه في الاستشفاع بهشام بن الحكم فيهما، وهو إذ ذاك طفل، فأطلقا من معتقلهما، وتراجعت حالهما.

وحظى جَعْفَر في أيام هِشَام عند المنصور مُحَمَّد بن أبي عامر - بعد وفاة الحكم - وخص به، ثم قتل في طريقه إلى قصر العقاب حسبماً يذكر في آخر هذا المجموع بحول الله، فرجم الناس فيه الظنون، وأظهر ابن أبي عامر الحزن عليه وهو المتهم به.

ودعا يحيى بن علي أخاه وألهاه إلى أن قال لابن أبي عامر أول لقية لقيه غب قتل أخيه: قد علمنا من قتله، وهذا جزاء مثله، ولا مقام بأرضك بعده، فقال له ابن أبي عامر: لولا أن أصدق ظنك في أخيك لألحقتك به، فاخرج إلى لعنة الله غير مكلوء ولا مصاحب! ووكل به من أزعجه فخرج إلى العدوة. وسبق الإخبار عنه حذراً من بلقين بن زيرى بن مناد فصار إلى سجلماسة ثم ركب الصحراء إلى مصر، فقبله العزيز بالله أبو المنصور نزار، وهو يومئذ الخليفة بها، وأدخله في يوم زينة، ثم جعل يعترف بالزلة، ويسأل الصفح والإقالة، فقال له نزار: كلمتك بالزهراء قد أتت على ذلك كله.

وعلم بلقين - واسمه يوسف، ويكنى أبا الفتوح - نفوذ يحيى إلى مصر فقامت عليه القيامة، وعثر على ابن له عامر تخلف عنه بالمغرب فقبض عليه وقتله. ولم تطل به المسرة بعد قتل جَعْفَر حتى فاجأته المنية، فهلك في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

ومن شعر يحيى بن علي، وأنشده أبو عامر السالمي في كتاب التشبيهات من تأليفه قوله يصف فرساً:

ومتمماً في خلقه لم ينبخس ... عارى الأديم من الملاحة مكتس

صلت إليه الخليل فهو إمامها ... وهو المقدم عندها في الأنفس

وكأن لون أديمه من سوسن ... وكأن لون لجامه من ترجس